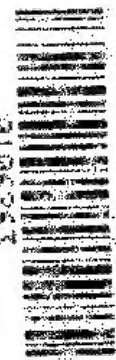


الإمام أبو حامد الغزالي

# آداب النكاح و كسر الشهوتين



Bibliotheca Alexandrina



0106265



مكتبة الإسكندرية  
الكتاب  
آداب النكاح وكسر الشهوتين

الطبعة الأولى: ١٩٩٥







الإمام أبو حامد الغزالي

# آداب النفاك و كسر الشهوتين



منشورات دار المعارف للطباعة والنشر  
سوسة / تونس

العدد المسند من طرف الناشر 90/317  
تم ايداعه بالمكتبة الوطنية في شهر مارس 1990

\* \* \*

« تدمك » : 3 - 022 - 16 - 9973 ISBN

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في مجائب صنمه مجرى ، ولا ترجع المقول عن أوائل بدائنها إلا والهة حيرى ، ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى ، فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا . ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا ، فجعله نسبا وصهرا <sup>وسلط</sup> وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحرائة جبرا ، واستبقى بها نسلهم لإقهارا وقسرا ، ثم عظم أمرا الانساب وجعل لها قدرا ، فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقييده ردعا وزجرا ، وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمرا إمرأ ، وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرا ، فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدمًا وكسرا ، ثم بث بذور النطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر الموت جبزا ، تنبيها على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا ، وخيرا وشرًا ، وعسرا ويسرا ، وطيا ونشرا ، والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإنذار والبشرى ، وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدوا ولا حصرا ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ، ومهين للشياطين ، وحصن دون عدو الله حصين ، وسبب للتكثير الذى به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين ، فإحرأه بأن تتحرى أسبابه ، وتحفظ سننه وآدابه ، وتشرح مقاصده وآرأه ، وتفصل فصوله وأبوابه ، والقدر المأمور من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب

الباب الأول : فى الترغيب فيه وعنه

الباب الثانى : فى الآداب المرعية فى المقد والمأفدين

الباب الثالث : فى آداب المعاشرة بعد المقد إلى الفراق

## الباب الأول

في الترغيب في النكاح والترهيب عنه

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح ، فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله ، واعترف آخرون بفضله ، ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله ، مهما لم تنفق النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال ، ويدعو إلى الوقاع ، وقال آخرون الأفضل تركه في زماننا هذا ، وقد كان له فضيلة من قبل ، إذ لم تكن الأكساب محظورة ، وأخلاق النساء مذمومة ، ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن يقدم أولا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه ، والترغيب عنه ، ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله ، حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

### الترغيب في النكاح

أما من الآيات : فقد قال الله تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامِي مِنْكُمْ) <sup>(١)</sup> وهذا أمر . وقال تعالى (فَلَا تَقْضُوا مِنْ أَنْ يَنْكِحَ أَزْوَاجَهُنَّ) <sup>(٢)</sup> وهذا منع من الفضل ، ونهى عنه . وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) <sup>(٣)</sup> فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل ، ومدح أوليائه بسؤال ذلك في الدعاء فقال (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) <sup>(٤)</sup> الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا المتأهلين ، فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجمع ، قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة ، وقيل لغرض البصر . وأما عيسى عليه السلام ، فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له

وأما الأخبار : فقوله صلى الله عليه وسلم « النكاح سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَقَدْ رَغِبَ عَنِّي » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « النكاح سُنَّتِي فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلَيْسَتْ بِسُنَّتِي »

(١) حديث : النكاح سُنَّتِي ، فمن أحب فِطْرَتِي فَلَيْسَتْ بِسُنَّتِي : أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير ، من حديث ابن عباس بسند حسن

(١) التورم : ٣٤ (٢) البقرة : ٢٣٢ (٣) الرعد : ٣٨ (٤) الفرقان : ٧٤



وقال أيضا صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « تَنَاسَكُّوْا تَكْثُرُوْا فَإِنِّي أَبْهَى بِكُمْ الْاُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى بِالسَّقَطِ » وقال أيضا عليه السلام <sup>(٢)</sup> « مَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَإِنِّ مِنْ سُنَّتِي النَّكَاحُ ، فَمَنْ أَحَبَّنِي فَلَيْسَ مِنِّي سُنَّتِي » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ غَفَاةً أَعْمَلَةً فَلَيْسَ مِنَّا » وهذا من لمة الامتناع ، لا لأصل الترك . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ » وقال <sup>(٥)</sup> « مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَا فَلَْيُصُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في المين والفرج . والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول خولته ، فهو مستعمار للضعف عن الوقاع في الصوم . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> « إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَآمَنَهُ فَزَوِّجُوهُ ، وَإِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ » وهذا أيضا تعليل الترغيب لخوف الفساد . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> « مَنْ نَكَحَ لِلَّهِ وَأُنْكَحَ لِلَّهِ اسْتَحَقَّ وَلَايَةَ اللَّهِ » وقال صلى الله عليه وسلم

(٢) حديث : تَنَاسَكُّوْا تَكْثُرُوْا قَالَ أَبْهَى بِكُمْ الْاُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى بِالسَّقَطِ . أبو بكر بن مردويه في

تفسيره ، من حديث ابن عمر ، دون قوله حتى بالسقط . وإسناده ضعيف ، وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة ، عن الشافعي أنه بلغه

(٣) حديث : مَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَإِنِّ مِنْ سُنَّتِي النَّكَاحُ ، فَمَنْ أَحَبَّنِي فَلَيْسَ مِنِّي .

متفق على أوله ، من حديث أنس : مَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي . وبقية تقدم قبله بحديث

(٤) حديث : مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ خُوفَ الْعَمَلَةِ فَلَيْسَ مِنَّا . رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس ،

من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وللدارمي في مسنده ، والبيهقي في معجمه ، وأبي داود

في المراسيل ، من حديث أبي نجيح : مَنْ قَدَّرَ عَلَى أَنْ يَنْكَحَ فَلَمْ يَنْكَحْ فَلَيْسَ مِنَّا ، وأبو نجيح

أخذه في صحيحه

(٥) حديث : مَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ . هـ . من حديث عائشة ، بسند ضعيف

(٦) حديث : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ الْحَدِيثُ . متفق عليه ، من حديث ابن مسعود

(٧) حديث : إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَآمَنَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ

ت . من حديث أبي هريرة ، ونقل عن خ أنه لم يده محفوظا ، وقال دانه خطأ ، ورواه

ت أيضا من حديث أبي حاتم الزني ، وحسنه ، ورواه د في المراسيل ، وأعله ابن القطان

بارسالة ، وضعف رواه

(٨) حديث : مَنْ نَكَحَ لِلَّهِ وَأُنْكَحَ لِلَّهِ اسْتَحَقَّ وَلَايَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . أحمد بسند ضعيف ، من حديث

معاذ بن أس : مَنْ أُعْطِيَ اللَّهُ ، وَأُحِبَّ اللَّهُ ، وَأَبْهَضَ اللَّهُ ، وَأُنْكَحَ اللَّهُ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِعَانَةَ

(١) « مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَخْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة ، تحصنا من الفساد . فكان المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه ، وقد كفى بالتزويج أحدهما . وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يَنْقُطِعُ إِلَّا ثَلَاثٌ : وَلَدٌ سَالِحٌ يَدْعُو لَهُ الْحَدِيثُ ، وَلَا يُوَصَّلُ إِلَى هَذَا إِلَّا بِالنِّكَاحِ وَأَمَّا الْآثَارُ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَنْعَمُ مِنَ النِّكَاحِ إِلَّا عِزٌّ أَوْ فُجُورٌ . فَبَيْنَ أَنْ الدِّينَ غَيْرُ مَانِعٍ مِنْهُ ، وَحَصْرُ الْمَانِعِ فِي أَمْرَيْنِ مَذْمُومَيْنِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لَا يَتِمُّ نِسْكَ النَّاسِكِ حَتَّى يَتَزَوَّجَ : يَحْتَمِلُ أَنْهُ جَمَلُهُ مِنَ النَّسْكِ ، وَتَمَتُّلُهُ ، وَلَكِنْ الظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ قَلْبُهُ لَغَلْبَةِ الشَّهْوَةِ إِلَّا بِالتَّزْوِيجِ ، وَلَا يَتِمُّ النَّسْكَ إِلَّا بِفَرَاغِ الْقَلْبِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ يَجْمَعُ غُلَّاتِهِ لِمَا أَدْرَكَوا عِكْرَ مَكْرَمَةٍ وَكَرِيًّا وَغَيْرَهَا وَيَقُولُ : إِنْ أَرَدْتُمْ النِّكَاحَ أَنْ كَسَحْتُمْ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا زَانِيَ نَزَعَ الْإِيمَانَ مِنْ قَلْبِهِ . وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : لَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِىَ الْإِعْشَرَةُ أَيَّامٌ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ لِكَيْلَا أَتَقَى اللَّهَ عِزًّا . وَمَاتَ اسْرَأَتَانِ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الطَّاعُونَ ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مَطْمُونًا فَقَالَ : زَوَّجُونِي فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتَقَى اللَّهَ عِزًّا . وَهَذَا مِنْهُمْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا رَأْيَانِى النِّكَاحَ فَضْلًا ، لَا مِنْ حَيْثُ التَّحَرُّزُ عَنْ غَالِثَةِ الشَّهْوَةِ وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَكْثُرُ النِّكَاحَ وَيَقُولُ : مَا أَتَزَوَّجُ إِلَّا لِأَجْلِ الْوَلَدِ . وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ قَدْ انْقَطَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) يَخْدُمُهُ ، وَبَيَّتَ عِنْدَهُ لِحَاجَةِ أَنْ طَرَقَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا تَتَزَوَّجُ ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِي فَقِيرٌ لَأَشَى عَلَى ، وَأَنْتَ تَقْطَعُ عَنْ خِدْمَتِكَ ، فَسَكَتَ ، ثُمَّ عَادَ ثَانِيًا ، فَأَعَادَ الْجَوَابَ ثُمَّ تَفَكَّرَ الصَّحَابِيُّ وَقَالَ : وَاللَّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ بِمَا يَصْلِحُنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي ، وَمَا يَقْرُبُنِي إِلَى اللَّهِ مَتَى ،

(١) حديث : مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَخْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْآخِرِ . ابْنُ الْجَوْزَى فِي الْمَعْلَى ، مِنْ

حَدِيثِ أَنَسٍ ، بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ ، وَهُوَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ ، بِلَفْظٍ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نَصْفَ

الْإِيمَانِ . وَفِي الْمُسْتَدْرَكِ ، وَصَحَّحَ اسْنَادَهُ بِلَفْظٍ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ امْرَأَةً سَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ الْحَدِيثِ

(٢) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة ، فذكر فيه وولد صالح يدعوه له . م . مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهَجْوِهِ

(٣) حديث : كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ قَدْ انْقَطَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَيَّتَ عِنْدَهُ لِحَاجَةِ ابْنِ

طَرَقَتْهُ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا تَتَزَوَّجُ الْحَدِيثُ . أَحْمَدُ . مِنْ حَدِيثِ

رَبِيعَةَ الْأَسْبَلِيِّ ، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَصَّةِ ، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ

ولئن قال لي الثلاثة لأفعلن . فقال له الثالثة ألا تزوج ؟ قال فقلت يا رسول الله زوجني ، قال  
أذهب إلى بني فلان ، فقل ان رسول الله صلى عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتاتكم  
قال فقلت يا رسول الله لا شيء علي ، فقال لأصحابه «اجتمعوا لي أخيكم وزن نواة من ذهب» فجعلوا  
فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه ، فقال له «أولم» وجعلوا من الأصحاب شاة للوليمة وهذا  
التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح  
وحكى ان بعض العباد في الأمم السالفة فاق أهل زمانه في العبادة ، فذكر لنبي زمانه  
حسن عبادته ، فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشيء من السنة ، فاعتم العابد لما سمع ذلك  
فسأل النبي عن ذلك فقال : أنت تارك للتزويج فقال لست أحرمه ولكني فقير ، وأنا  
عيال على الناس ، قال أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته . وقال بشر ابن  
الحرف : فضل على أحمد بن حنبل بثلاث . بطلب الحلال لنفسه ولغيره ، وأنا أطلبه لنفسي  
فقط . ولا تساعه في النكاح وضيق عنه . ولأنه نصب اماما للعامة . ويقال ان أحمد  
رحمه الله تزوج في اليوم الثاني من وفاة أم ولده عبد الله ، وقال أكره أن أبيت عزبا . وأما  
بشر ، فإنه لما قيل إن الناس يتكلمون فيك لترتكب النكاح ، ويقولون هو تارك للسنة ،  
فقال : قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة . وعوتب مرة أخرى ، فقال : ما يعنى  
من التزويج إلا قوله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)<sup>(١)</sup> نذكر ذلك لأحمد فقال : وابن  
مثل بشر ؟ انه قد عد على مثل حد السنان . ومع ذلك فقد روى أنه رأى في المنام فقيل له ما فعل  
الله بك ؟ فقال رفعت منازل في الجنة ، وأشرف على مقامات الأنبياء ، ولم أبغ منازل المتأهلين  
وفي رواية : قال لي ما كنت أحب أن تلقاني عزبا . قال فقلنا له ما فعل أبو نصر التمار ؟ فقال رفع  
فوق بسبعين درجة . قلنا بماذا ؟ فقد كسنا نراك فوقه ، قال بصبره على بنياته والعيال . وقال  
سفيان بن عيينه : كثرة النساء ليست من الدنيا ، لأن عليا رضى الله عنه كان أزهد أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له أربع نسوة ، وسبع عشرة مصرية . فالتكاح سنة  
ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء . وقال رجل لابراهيم بن آدم رحمه الله : طوبى لك  
فقد تفرغت للعبادة بالمزوجة . فقال : لروعة منك بسبب العيال ، أفضل من جميع ما أنافيه

<sup>(١)</sup> البقرة ٢٢٨

قال فما الذي يمنعك من النكاح؟ فقال مالي حاجة في امرأة، وما أريد أن أغر امرأة بنفسى وقد قيل فضل المتأهل على العزب، كفضل المجاهد على القاعد، وركعة من متأهل، أفضل من سبعين وكمة من عزب

## الترهيب عنه النكاح

وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الْمَاءِ اثْنَيْنِ الْخَفِيفُ الْحَادِ الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ زَوْجَتِهِ وَأَبْوَيْهِ وَوَلَدِهِ، يُعِيرُونَهُ بِالْفَقْرِ وَيُسْكِلُونَهُ مَا لَا يَطِيقُ فَيَدْخُلُ الْمَدَاحِلَ الَّتِي يَذْهَبُ فِيهَا دِينُهُ، فَيَهْلِكُ»

وفي الخبر <sup>(٣)</sup> قلة العيال أحد اليسارين، وكثرتهم أحد الفقيرين. وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح، فقال: الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من الصبر على النار. وقال أيضا: الوحيد يجد من حلاوة العمل، وفراغ القلب، مما لا يجد المتأهل. وقال مرة: ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فتبت على مرتبته الأولى. وقال أيضا: ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا: من طلب معاشا، أو تزوج امرأة، أو كتب الحديث. وقال الحسن رحمه الله: إذا أراد الله بعد خيرا، لم يشغله بأهل ولا مال. وقال ابن أبي الحواري تناظر جماعة في هذا الحديث، فاستقر رأيهم على أنه ليس منه ما أن لا يكون له، بل أن يكون له ولا يشغله، وهو الشغل إلى قول أبي سليمان الداراني: ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد، فهو عليك مشؤم. وبالحيلة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا، إلا مقرونا بشرط. وأما الترغيب في النكاح، فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه، بنحصر آفات النكاح وفوائده

(١) حديث: خير الناس بعد الماءين الخفيف الحاد الذي لا أهل له ولا ولد. أبو يعلى. من حديث حذيفة

ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة، وكلاهما ضعيف

(٢) حديث: يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده، يعيرونه بالفقر،

ويكفونهم ما لا يطيق، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه، فيهلك. الخطابي في العزلة، من

حديث ابن مسعود نحوه، والبيهقي في الزهد نحوه، من حديث أبي هريرة، وكلاهما ضعيف

(٣) حديث: قلة العيال أحد اليسارين، وكثرتهم أحد الفقيرين. القضاة في مستند الشهاب، من حديث على

وأبو منصور الديلمي في مستند الفردوس، من حديث عبد الله بن عمر، وابن هلال المزني.

كلامهما بالنظر الأول، يستدعيان ضميرين.

## فوائد النظام

وفيه فوائد حمسة : الولد ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة المشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بهن .

الفائدة الاولى : الولد : وهو الاصل ، وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل ، وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس ، وبما الشهوة خلقت ياعنة مستحثة ، كالموكل بالفحل في اخراج البذر ، وبالاتى في التمكن من الحرث ، تلطفاً بهما في السياقة إلى اقتناص الولد بسبب الوقاع ، كالنطف بالطير في بث الحب الذي يشتهي ليساق الى الشبكة . وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حرائة وازدواج ، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب السبب على الأسباب ، مع الاستغناء عنها ، اظهاراً للقدرة ، واتماماً لمعجائب الصنعة ، وتحقيقاً لما سبقت به المشيئة ، وحققت به الكلمة ، وجرى به القلم . وفي التوصل الى الولد قربة من أربعة أوجه هي الأضل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة ، حتى لم يجب أحدهم أن يلقى الله عزباء الأول . موافقة محبة الله بالسعى في تحصيل الولد ، لابقاء جنس الإنسان . والثاني . طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباحاته . والثالث . طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده والرابع . طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله

أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه ، وأبعدها عن افهام الجاهل ، وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه : وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث ، وهباً له أرضاً مهيأة للحرثة ، وكان العبد قادراً على الحرثة ووكل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطل آلة الحرث ، وترك البذر ضائعاً حتى فسد ، ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة ، كان مستحقاً للمقت والعتاب من سيده . والله تعالى خلق الزوجين ، وخلق الذكر والانثيين وخلق النطف في الفقار ، وهباً لها في الأنثيين عروفاً ومجاري ، وخلق الرحم قراراً ومستودعاً للنطفة ، وساطة تقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الأفعال والآلات ، تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها ، وتنادى أرباب .

الألـباب بتعريف ما أعدت له ، هذا ان لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال ( تَنَـكَّحُوا تَنَـكَّحُوا ) فكيف وقد صرح بالأمر ، وباح بالسر . فكل ممنوع عن النكاح معرض عن الحرائة ، مضيق للبذر ، معطل لما خالق الله من الآلات المعدة ، وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة ، المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ، ليس برقم حروف وأصوات ، يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية . ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للأولاد ، وفي الوأد ، لأنه منع التمام الوجود . وإليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالنا كبح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمعرض معطل ومضيق لما كرهه الله ضياعه . ولاجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس ، أمر بالاطعام وحث عليه ، وعبر عنه بعبارة الفرض فقال ( مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا <sup>(١)</sup> ) فان قلت : قولك ان بقاء النسل والنفس محبوب ، يوم ان فناءها مكروه عند الله ، وهو فرق بين الموت والحياة ، بالاضافة إلى ارادة الله تعالى ، ومعلوم ان الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين ، فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم ، أو بقاءهم عن فناءهم ؟ فاعلم ان هذه الكلمة حق أريد بها باطل . فان ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكائنات كلها إلى ارادة الله خيرها وشرها ، ونفعها وضرها ، ولكن المحبة والكرهية يتضادان وكلاهما لا يضافان الارادة ، فرب مراد مكروه ، ورب مراد محبوب ، فالماضي مكروهة ، وهي مع الكراهية مرادة ، والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية . أما الكفر والشر ، فلا تقول انه مرضى ومحبوب ، بل هو مراد . وقد قال الله تعالى ( وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ <sup>(٢)</sup> ) فكيف يكون الفنا بالاضافة إلى محبة الله وكرهته كالبقاء ؟ فانه تعالى يقول ( مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ كَتَرَدَّدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُسْلِمِ ، هُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، وَلَا يَبْدَأُ لِي مِنَ الْمَوْتِ ) فقوله لا بدله من الموت ، إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى ( نَحْنُ قَدَرْنَا نَابِتِكُمْ الْمَوْتَ <sup>(٣)</sup> ) وفي قوله تعالى ( الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ <sup>(٤)</sup> ) ولا منافضة بين قوله تعالى

(١) حديث : انه تعالى يقول : ما ترددت في شيء كترددت في قبض روح عبدى المسلم يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه . رخ . من حديث أبي هريرة ، انفرد به خالد بن محمد القطواني ، وهو متكلم فيه

(١) البقرة ٢٤٥ (٢) الزمر ٧ (٣) الواقعة ٦٠ (٤) الملك ٣



(نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ) وبين قوله وأما أكره مساءته ولكن إيضاح الحق في هذا ، يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة والكراهة ، ويان حقائقها . فان السابق إلى الافهام منها أمور تناسب إرادة الخالق ومحبتهم وكرهاتهم ، وهيئات فيبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ، ما بين ذاته العزيز وذاتهم . وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض ، وذات الله مقدس عنه ، ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض ، الجوهر والعرض ، فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق . وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ، ووراءه سر القدر الذي منع من افشائه فلتنصر عن ذكره ، ولتقتصر على ما نبهنا عليه ، من الفرق بين الاقدام على النكاح والأحجام عنه . فان أحدهما مضيع نسلا أدام الله وجوده من آدم صلى الله عليه وسلم عقبا بعد عقب إلى أن انتهى إليه ، فلمتنع عن النكاح قدحسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه ، فبات أتر لا عقب له . ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة ، لما قال معاذ في الطاعون : زوّجوني لأتقي الله عزبا

فان قلت: فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت ، فما وجه رغبته فيه ؟ فأقول الولد يحصل بالوقوع ، ويحصل الوقوع بباعث الشهوة ، وذلك أمر لا يدخل في الاختيار . انما المعلق باختيار العبد ، احضار المحرك للشهوة ، وذلك متوقع في كل حال ، فمن عقد فقد أدى ما عليه ، وفعل ما اليه ، والباقي خارج عن اختياره . ولذلك يستحب النكاح للمتين أيضا ، فان نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها ، حتى ان المسوح الذي لا يتوقع له ولد ، لا يتقطع الاستحباب أيضا في حقه على الوجه الذي يستحب للاصلح امرار موسى على رأسه اقتداءً بغيره ، وتشبهاً بالسلف الصالحين ، وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن ، وقد كان المراد منه ألا يظهر الجلد للكفار ، فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد ، سنة في حق من بعدهم . ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة إلى الاستحباب في حق القادر على الحرث ، وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييدها فيما يرجع إلى قضاء الوطر ، فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي يتنبه على شدة اسكارم لترك النكاح ، مع فتور الشهوة الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه ، يتكثير ما به مباحاته

إذ قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . ويدل على مراعاة أمر الولد حمله بالوجوه كلها ، ما روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول : إنما أنكح لالوده ، وما روى من الأخبار في مذمة المرأة العقيم ، إذ قال عليه السلام <sup>(١)</sup> « خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَلُودُ الْوَدُودُ » وقال <sup>(٢)</sup> « سَوْدَاهُ وَلُودٌ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَاهُ لَا تَلِدُ » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة ، لأن الحسناء أصلح للتحصيل وغض البصر وقطع الشهوة

الوجه الثالث : أن يبقى بعمده ولدا صالحا يدعو له ، كما ورد في الخبر : أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا تلاتا فذكر الولد الصالح . وفي الخبر <sup>(٣)</sup> « إِنَّ الْأَدْعِيَةَ تُعْرَضُ عَلَى الْمَوْتَى عَلَى أَطْبَاقٍ مِنْ نُورٍ » وقول القائل : إن الولد ربما لم يكن صالحا ، لا يؤثر . فإنه مؤمن ، والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين ، لاسيما إذا عزم على تربيته ، وحمله على الصلاح . وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد ، برا كان أو فاجرا ، فهو مثاب على دعوته وحسناته فإنه من كسبه ، وغيره مؤاخذ بسيئاته ، فإنه لا ترز وازرة ، وزر أخرى . ولذلك قال تعالى <sup>(٤)</sup> « وَآتَيْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَكْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ » أي ما نقصناهم من أعمالهم ، وجعلنا أولادهم مزيديا في إحسانهم الوجه الرابع : أن يموت الولد قبله فيكون له شقيقا . فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

(١) حديث : الحسير في ناحية البيت خير من امرأة لا لله . أبو عمر التوفاني في كتابه معلىرة الأهلين ،

موقوفاً على عمر بن الخطاب ، ولم أجده مرفوعاً

(٢) حديث : خير نساككم الولود الودود . البيهقي . من حديث ابن أبي أدية الصدفي ، قال البيهقي ، يوروى

باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلاً

(٣) حديث : سوداه ولود خير من حسناء لا لله . ابن حبان في الضعفاء ، من رواية بهر بن حكيم . عن

أبيه ، عن جده ، ولا يصح

(٤) حديث : إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور . وروناه في الأربعين المشهورة ، من رواية

أبي هدية عن أنس ، في الصدقة عن الميت وأبو هدية كذاب

(١) الطور : ٣١



(١) «إِنَّ الطِّفْلَ يَجْرُ بِأَبَوَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ» وفي بعض الأخبار (٢) «يَأْخُذُ بِشَوْبِهِ كَمَا أَنَا لَأَن آخِذًا بِشَوْبِكَ» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «إِنَّ الْمَوْلُودَ يُقَالُ لَهُ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقِفُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُظَلُّ مُحَبَّطًا أَوْ مُمْتَلَأًا غَيْظًا وَغَضَبًا ، وَيَقُولُ لَا أَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَأَبَايَ مَعِيَ ، فَيُقَالُ أَدْخِلُوا أَبَوَيْهِ مَعَهُ الْجَنَّةَ » وفي خبر آخر (٣) «إِنَّ الْأَطْفَالَ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ ، عِنْدَ عَرْضِ الْخَلَائِقِ لِلْحِسَابِ فَيُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ اذْهَبُوا بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَقِفُونَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَرْجَبًا بِذَرَارِي الْمُسْلِمِينَ ، اذْخُلُوا لِحِسَابِ عَلَيْكُمْ ؛ فَيَقُولُونَ : فَأَيْنَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا ، فَيَقُولُ الْخَزَنَةُ إِنَّ آبَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتَكُمْ لَيْسُوا بِمِثْلِكُمْ ، إِنَّهُ كَانَتْ لَهُمْ ذُنُوبٌ وَسَيِّئَاتٌ فَهُمْ يَحْسَبُونَ عَلَيْهَا وَيُطَاكَبُونَ ، قَالَ فَيَتَضَاغُونَ وَيَضْجُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ضَجَّةً وَاحِدَةً ، فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، مَا هَذِهِ الضَّجَّةُ ؟ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَعَ آبَائِنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى تَخَلَّوْا لِمَجْمَعٍ فَخَذُّوْا بِأَيْدِي آبَائِهِمْ فَأَدْخِلُوهُمْ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) «مَنْ مَاتَ لَهُ ابْنَانِ مِنْ الْوَلَدِ فَقَدْ اخْتَضَرَ بِحُطَّارٍ مِنَ النَّارِ»

(١) حديث : إن الطفل يجبر أبويه إلى الجنة . ه . من حديث علي ، وقال السقط بدل الطفل وله من

حديث معاذ ، إن الطفل يجبر أمه بسرره إلى الجنة ، إذا هي احتسبت . وكلامها ضعيف

(٢) حديث : أنه يأخذ بشوبه كما أنا الآن آخذ بشوبك . م . من حديث أبي هريرة

(٣) حديث : إن المولود يقال له ادخل الجنة ، فيقف على باب الجنة ، فيظل محببًا ، أي ممتلئًا غيظًا وغضبًا

ويقول لا أدخل إلا وأبواي معي . الحديث . ح . في الضعفاء . من رواية يهزي بن حكيم ،

عن أبيه ، عن جده ، ولا يصح . ن . من حديث أبي هريرة ، يقال لهم ادخلوا الجنة ،

فيقولون حق يدخل أبائنا ، فيقال ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم . وإسناده جيد

(٤) حديث : إن الأبطال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب ، فيقال للملائكة

اذهبا بهؤلاء إلى الجنة ، فيقفون على باب الجنة ، فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ، ادخلوا

لاحساب عليكم ، فيقولون أين آبائنا وأمهاتنا . الحديث بطوله . لم أجده أصلا يعتمد عليه

(٥) حديث : من مات له ابنتان من الولد احتضر بحطار من نار . البراء ، والطبراني ، من حديث زهير

ابن أبي علقمة : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول

الله ، انه مات لي ابنتان سوي هذا ، فقال احتضرت من دون النار بحطار شديد . ولمسلم من

حديث أبي هريرة ، في المرأة التي قالت دفنت ثلاثه ، لقد احتضرت بحطار شديد من النار

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاثْنَانِ قَالَ وَاثْنَانِ»

وحكى أن بعض الصالحين كان يمرض عليه التزويع فيأبى برهة من دهره ، قال فاتبه من نومه ذات يوم ، وقال زوجوني زوجوني فزوجوه ، فسئل عن ذلك ، فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه ، فيكون لى مقدمة فى الآخرة . ثم قال رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف ، وبى من العطش ما كاد أن يقطع عنقى ، وكذا الخلائق فى شدة العطش والكرب ، فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع ، عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة ، وأكواب من ذهب ، وهم يسقون الواحد بعد الواحد ، يتخللون الجمع ، ويتجاوزون أكثر الناس ، فددت يدي إلى أحدهم ، وقلت اسقني فقد أجهدتنى العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسق آباءنا ، قتلت ، ومن أنتم ؟ فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين . وأحد المعاني المذكورة فى قوله تعالى ( فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدْ مَوَّأ لِنَفْسِكُمْ <sup>(١)</sup> ) تقديم الأطفال إلى الآخرة

فقد ظهر بهذه الوجوه الاربعه ، ان أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد الفائدة الثانية: التحصن عن الشيطان ، وكسر التوقان ، ودفع غوائل الشهوة ، وغض البصر وحفظ الفرج ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «مَنْ نَكَحَ فَقَدْ حَصَّنَ لِنَفْسِهِ دِينَهُ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْآخِرِ» وإليه الإشارة بقوله «عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ» وَأَكْثَرُ مَا قُلْنَا مِنْ الْآثَارِ وَالْإِخْبَارِ إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى ، وَهَذَا الْمَعْنَى دُونَ الْأَوَّلِ ، لَأَنَّ الشَّهْوَةَ مُوَكَّلَةٌ بِتَقَاضِي تَحْصِيلِ الْوَلَدِ ، فَالنَّكَاحُ كَافٍ لَشَغْلِهِ ، دَافِعٌ لَجَمَلِهِ ، وَصَارَفٌ لَشَرِّ سَطْوَتِهِ . وَلَيْسَ مِنْ يَجِبُ مَوْلَاهُ رَغْبَةً فِي تَحْصِيلِ رِضَاهُ ، كَمَنْ يَجِبُ لَطْلُبُ الْخُلَاصِ عَنْ فَائِذَةِ التَّوَكُّلِ . فَالشَّهْوَةُ وَالْوَلَدُ مَقْدَرَانِ ، وَبَيْنَهُمَا ارْتِبَاطٌ . وَلَيْسَ يَحُوزُ أَنْ يُقَالَ الْمَقْصُودُ اللَّذَةُ وَالْوَلَدُ لَازِمٌ مِنْهَا ، كَمَا يَلْزَمُ مَثَلًا قِضَاءُ الْحَاجَةِ مِنَ الْأَكْلِ ، وَلَيْسَ مَقْصُودًا فِي ذَاتِهِ . بَلِ الْوَلَدُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْفِطْرَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَالشَّهْوَةُ بِاعْتِثَالِهَا عَلَيْهِ

(١) حديث من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، قيل يا رسول الله واثنان ، قال واثنان . خ . من حديث أنس ، دون ذكر الاثنين . وهو عند أحمد بهذه الزيادة ، من حديث معاذ ، وهو متفق عليه ، من حديث أبي سعيد بلفظ أبا امرأة بنحو منه

ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الارهاق الى الإيلاد ، وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت ، فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان ، إذ التمرغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع ، فلو رغب المنين في لذة الجوع ، أو الصبي في لذة الملك والسلطنة ، لم ينفع التمرغيب . واحدى فوائد لذات الدنيا ، الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعشا على عبادة الله

فانظر الى الحكمة ، ثم الى الرحمة ، ثم الى التهيئة الالهية كيف عييت تحت شهوة واحدة حياتان ، حياة ظاهرة وحياة باطنة ، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله ، فانه نوع من دوام الوجود ، والحياة الباطنة هي الحياة الاخرية ، فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام ، تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام ، فيستحث على العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها ، تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان . وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ، بل ذرات ملكوت السموات والارض ، الا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما تحار العقول فيها ؛ ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفاها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها .

فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة ، وهم غالب الخلق ، فان الشهوة اذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى ، جرت الى اقتحام الفواحش واليه أشار بقوله عليه السلام «إِنَّ تَقْوَاهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» وان كان ملجما بلجام التقوى ، ففأيته أن يكف الجوارح عن اجابة الشهوة ، فيغض البصر ، ويحفظ الفرج ، فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر ، فلا يدخل تحت اختياره ، بل لا تزال النفس تجاذبه وتحذنه بأمر الواقع ، ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس اليه في أكثر الاوقات ، وقد يمرض له ذلك في أثناء الصلاة ، حتى يجري على خاطره من أمور الواقع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحيا منه ، والله مطلع على قلبه ، والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ، ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه ، والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق الا أن ينضاف إليه ضعف في البدن ، وفساد في المزاج ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يتم نكاح الناسك إلا بالنكاح

وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها . قال قتادة في معنى قوله تعالى (وَلَا تَحْمِلْنَا مَآلًا طَائِفَةً لَّنَا يَوْمَ) (١) هو الغلبة. وعن عكرمة ومجاهد أنهم قالوا في معنى قوله تعالى (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) (٢) أنه لا يصبر عن النساء. وقال فياض بن نجيح : إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ، وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه. وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما (وَمِنْ شَرِّ مَا سَبَقَ إِذَا وَقَبَ) (٣) قال قيام الذكر . وهذه بلية غالبية ، إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين ، وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق ، فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم ، وإليه أشار عليه السلام بقوله « مَا رَأَيْتُ (١) مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أُغْلِبَ لِذَوِي الْأَبْأَابِ يَنْكُحُنَّ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِهَيْجَانِ الشَّهْوَةِ . وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللَّهُمَّ (٢) إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْنِي وَبَصْرِي وَقَلْبِي وَشَرِّ مَنِي » ، وقال « أَسْأَلُكَ (٣) أَنْ تُطَهِّرَ قَلْبِي وَتَعْفُظَ فَرْجِي » فما يستعِذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره

وكان بعض الصالحين يكثر النكاح ، حتى لا يسكاد يخلو من اثنتين وثلاث ، فأنكر عليه بعض الصوفية ، فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة ، أو وقف بين يديه موقفا في معاملة ، فخطر على قلبه خاطر شهوة ؟ فقالوا يصيبنا من ذلك كثير ، فقال لو رضيت في عمري كله بثل حالكم في وقت واحد ، لما تزوجت ، لكنني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الانفذته ، فاستريح وارجع إلى شغلي ، ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية

وأنكر بعض الناس حال الصوفية ، فقال له بعض ذوى الدين : ما الذى تشكر منهم ؟ قال يا كلون كثيرا ، قال وأنت أيضا لو جمعت كما يجوعون ، لأكلت كما يأكلون ، قال ينكحون كثيرا ، قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون ، لنكحت كما ينكحون . وكان الجنيد يقول : أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت . فالزوجة على التحقيق قوت

( ١ ) حديث : ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبشر لذة من الدنيا إلا ما كان منهن . من حديث ابن عمر ،

واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ، ولم يسبق لم نقله

( ٢ ) حديث : اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقبر مني ، تقدم في الدعوات

( ٣ ) حديث : أسألك أن تطهر قلبي ، وتعظ فرجي . هو . في الدعوات من حديث أم سلمة ، بإسناديه لين

( ١ ) البقرة : ٢٨٦ ( ٢ ) النساء : ٢٨ ( ٣ ) الفلق : ٣

وسبب لطهارة القلب « ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم » كُلَّ مَنْ وَقَعَ  
 نَظَرُهُ عَلَى امْرَأَةٍ فَتَنَّتْ إِلَيْهَا نَفْسُهُ أَنْ يُجَامِعَ أَهْلَهُ» لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس  
 . وروى جابر رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « رَأَى امْرَأَةً فَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ  
 فَقَضَى حَاجَتَهُ وَخَرَجَ » وَقَالَ صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِصُورَةِ شَيْطَانٍ  
 فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ ، فَإِنْ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا » وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup>  
 لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْمَغِيْبَاتِ وهي التي غاب زوجها عنها « فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى  
 الدِّمِ » قُلْنَا وَمِنْكَ قَالَ « وَمَنْي وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمْتُ » قال سفيان بن عيينة : فاسلم  
 معناه فاسلم أنا منه ، هذا معناه فان الشيطان لا يسلم = وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى عنهما  
 وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم ، أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل ، وربما  
 جامع قبل أن يصلى المغرب ، ثم يغتسل ويصلى ، وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله ، وإخراج  
 غدة الشيطان منه . وروى أنه جامع ثلاثا من جواريه في شهر رمضان قبل المشاء الأخيرة  
 وقال ابن عباس <sup>(٣)</sup> خير هذه الأمة أكثرهن نساء


ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب ، كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ،  
 ولاجل فراغ القلب أيسر نكاح الأمة عند خوف الفتنة ، مع أن فيه ارقاق الولد وهو  
 نوع إهلاك ، وهو محرم على كل من قدر على حرة ، ولكن ارقاق الولد أهون من إهلاك  
 الدين ، وليس فيه الانتفيس الحياة على الولد مدة ، وفي اقتحام الفاحشة تقويت الحياة الأخروية  
 التي تستحق الأعمار الطويلة بالاضافة الى يوم من أيامها

وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس ، وبقي شاب لم يبرح ، فقال

- ( ١ ) حديث : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتنت نفسه إليها أن يجامع  
 أهله . أحمد . من حديث أبي كبشة الأنماري حين مرت به امرأة ، فوقع في قلبه شهوة النساء ،  
 فدخل فأتى بعض أزواجه ، وقال فسكر ذلك فافعلوا ، فانه من أمثال أفعالكم إتيان الحلال وإسناده جيد  
 ( ٢ ) حديث جابر ، رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم ، والترمذي ، واللفظ له وقال حسن صحيح  
 ( ٣ ) حديث : لا تدخلوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث . ت . من حديث  
 جابر ، وقال غريب . ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل بمديوني هذا على مغبة  
 إلا ومعه رجل أو اثنان

- ( ٤ ) حديث ابن عباس ، خير هذه الأمة أكثرها نساء يعنى النبي صلى الله عليه وسلم رواه . خ .



له ابن عباس هل لك من حاجة ؟ قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحيت من الناس ، وأنا الآن أهابك وأجلك . فقال ابن عباس : ان العالم بمنزلة الوالد ، فما كنت أفضيت به الى أيك فافض الى به ، فقال أنى شاب لازوجة لى ، وربما خشيت العنت على نفسى ، فربما استمنيت بيدي ، فهل فى ذلك معصية  تعرض عنه ابن عباس ، ثم قال . أف وتفت ، تكاح الامة خير منه ، وهو خير من الزنا . فهذا تنبيه على أن العزب المقتلم مردد بين ثلاثة شرور ، أدناها تكاح الامة ، وفيه إرفاق الولد ، وأشد منه الاستمنا باليد ، وأخفها الزنا ، ولم يطلق ابن العباس الإباحة فى شىء منه ، لأنهما محذوران يفزع اليهما حذرا من الوقوع فى محذور أشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس ، فليس ترجيح أهون الشرين فى معنى الإباحة المطلقة ، ولا فى معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتأكلة من الخيرات ، وإن كان يؤذن فيه عند اشراف النفس على الهلاك

فإذا فى النكاح فضل من هذا الوجه ، ولكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر ، فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره ، فينعدم هذا الباعث فى حقه ، ويبقى ماسبق من أمر الولد ، فان ذلك عام ، إلا للمسحوق وهو نادر

ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تخصصه المرأة الواحدة ، فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع ، فان يسر الله له مودة ورحمة ، واطمأن قلبه بهن ، وإلا فيستحب له الاستبدال ، فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ، ويقال إن الحسن بن على كان منكاحا حتى نكح زيادة على مائتى امرأة ، وكان ربما عقد على أربع فى وقت واحد ، وربما طلق أربعاً فى وقت واحد واستبدل بهن . وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن <sup>(١)</sup> « أَشَبَّهْتَ خَلْقِي وَخَلُقْتِى » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « حَسَنٌ مِنِّى وَحُسَيْنٌ مِنِّى » فقل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خالق رسول الله صلى الله عليه وسلم

( ١ ) حديث انه قال للحسن بن على اشبهت خلقى وخلقى . قلت للعروف انه قل هذا اللفظ لجعفر بن ابى

طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء . ولكن الحسن ايضا كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم ، كما هو متفق عليه من حديث ابى حنيفة . وللترمذى . ومحمد . وابن حبان من

حديث اس . لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن

( ٢ ) حديث حسن بنى وحسين بنى على . أحمد . من حديث القناد بن محمد يكره . بسند جيد

وتزويج المنيرة بن شعبة بشمانين امرأة ، وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ، ومن كان له اثنتان لا يحصى ، ومهما كان الباعث معلوما ، فينبغي أن يكون العلاج بقدر الحاجة ، فالمراد تسكين النفس ، فليُنظر إليه في السكثرة والقلة

الفائدة الثالثة . ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة ، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة ، فإن النفس ملول ، وهي عن الحق نفور ، لأنه على خلاف طبيعتها ، فلو كلفت المداومة بالأكرام على ما يخالفها جمحت وثابت ، وإذا وُحِت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت ؛ وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب ، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ، ولذلك قال الله تعالى ( لَيْسَ كُنْ إِلَّا يَهَا )<sup>(١)</sup> وقال على رضي الله عنه ، روي القلوب ساعة ، فإنها إذا أكرهت عمت ، وفي الخبر<sup>(٢)</sup> « عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وَسَاعَةٌ يُتَخَلَّوْ فِيهَا بِعَظَمِهِ وَمَشْرِبِهِ » فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات . ومثله بلفظ آخر<sup>(٣)</sup> « لَا يَكُونُ الْعَاقِلُ ظَاعِناً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ، تَزُودُ لِمَعَادٍ ، أَوْ مَرْمَةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ » وقال عليه الصلاة والسلام<sup>(٤)</sup> « لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ قَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ قَتْرَتُهُ إِلَى مُسْتَنَى فَقَدْ اهْتَدَى » والشره الجد والمكابدة بمحبة وقوة ، وذلك في ابتداء الارادة ، والفترة الوقوف للاستراحة . وكان أبو الدرداء يقول : إني لأستجم نفسي بشيء من اللوم ، لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق

(١) حديث : على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة فيها يناجي ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ،

وساعة يتخلو فيها بعظمه ومشربه . حب . من حديث أبي ذر ، في حديث طويل ، إن

ذلك في صحف إبراهيم

(٢) حديث لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم . حب

من حديث أبي ذر الطويل ، إن ذلك في صحف إبراهيم

(٣) حديث : لكل عامل شرة ، ولكل شرة قتره ، فمن كانت قترته إلى سنق فقد اهتدى . أحمد ،

والطبراني ، من حديث عبد الله ابن عمر . ولأترمذي نحو من هذا ، من حديث أبي هريرة

وقال حسن صحيح

(٤) الأعراف : ٩٨٩ .

وفي بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَنَّهُ قَالَ شَكَوْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَعْفِي عَنِ الْوَقَاحِ فَذَلَّنِي عَلَى الْمَهْرِيسَةِ ، وَهَذَا إِنْ صَحَّ لَا يَحْمِلُ لَهُ إِلَّا الْاسْتِمْدَادُ لِلِاسْتِرَاحَةِ ، وَلَا يُمْكِنُ تَعْلِيلُهُ بِدَفْعِ الشَّهْوَةِ ، فَإِنَّهُ اسْتِثَارَةٌ لِلشَّهْوَةِ ، وَمِنْ عَدَمِ الشَّهْوَةِ عَدَمُ الْأَكْثَرِ مِنْ هَذَا الْأَنْسِ . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ <sup>(٢)</sup> « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ الطَّيِّبِ ، وَالنِّسَاءِ ، وَقُرْءَةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ »

فهذه أيضا فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين ، حتى أنها تطرد في حق المسحوح ومن لاشهوة له ، إلا أن هذه الفائدة تجمل للزكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية ، وقل من يقصد بالزكاح ذلك . وأما قصد الولد ، وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري والخضرة وأمثالها ، ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له

الفائدة الرابعة : تفريغ القلب عن تدبير المنزل ، والتكفل بشغل الطبخ والكسب والفرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة . فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتمذره عليه العيش في منزله وحده ، إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل ، لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل . فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق ، واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنغصات للعيش . ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : الزوجة الصالحة ليست من الدنيا ، فإنها تفرغك للآخرة . وإنما تقرئها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا

( ١ ) حديث : شكوت إلى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلى على المهريسة . عد من حديث حذيفة وابن عباس

والعقيلي من حديث ساذ وجابر بن سمرة وابن جابر في الضمفان من حديث حذيفة والأزد في الضمفان

من حديث أبي هريرة ، بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدي موضوع ، وقال العقيلي باطل

( ٢ ) حديث : حبيب إلى من دنياكم الطيب والنساء ، وقرة عيني في الصلاة . ن ك . من حديث أنس ،

باسناد جيد ، وضعه العقيلي



وقال محمد بن كعب القرظي ، في معنى قوله تعالى ( رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً <sup>(١)</sup> )  
 المرأة الصالحة، وقال عليه الصلاة والسلام <sup>(٢)</sup> «لِيَتَّخِذَ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا  
 ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً صَالِحَةً تُعِينُهُ عَلَى آخِرَتِهِ» فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والسكر  
 وفي بعض التفاسير في قوله تعالى ( فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً <sup>(٣)</sup> ) قال الزوجة الصالحة، وكان عمر  
 ابن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أعطى العبد بعد الايمان بالله خيرا من امرأة صالحة، وإن  
 منهن غما لا يحذى منه، ومنهن غلا لا يفدى منه. وقوله لا يحذى أى لا يعتاض عنه بقطاع  
 وقال عليه الصلاة والسلام <sup>(٤)</sup> «فَضَلْتُ عَلَى آدَمَ بِحَصَلَتَيْنِ : كَانَتْ زَوْجَتُهُ عَوْنًا لَهُ عَلَى  
 الْمَعْصِيَةِ، وَأَزْوَاجِي أَعْوَانٌ لِي عَلَى الطَّاعَةِ، وَكَانَ شَيْطَانُهُ كَافِرًا، وَشَيْطَانِي مُسْلِمٌ لَا يَأْمُرُ  
 إِلَّا بِخَيْرٍ» فعد معاونتها على الطاعة فضيلة

فهذه أيضا من الفوائد التي يقصدها الصالحون، إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين  
 لا كافل لهم ولا مدبر، ولا تدعو إلى امرأتين، بل الجمع ربما ينقص المديشة، وتضطرب  
 به أمور المنزل. ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها، وما يحصل من القوة  
 بسبب تداخل العشائر، فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة، ولذلك  
 قيل: ذل من لا ناصر له، ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله، وفرغ قلبه للمعبادة،  
 فإن الذل مشوش للقلب، والعز بالسكثرة دافع للذل.

الفائدة الخامسة: مجاهدته النفس ورياضتها بالرعاية والولاية، والقيام بحقوق الأهل،  
 والصبر على أخلاقهم، واحتمال الأذى منهم، والسعى في إصلاحهم، وأرشادهم إلى طريق  
 الدين، والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهم، والقيام بتربيته لأولاده. فكل هذه أعمال  
 عظيمة الفضل، فإنها رعاية وولاية، والأهل والولد رعية، وفضل الرعاية عظيم، وإنما يحتز

(١) حديث: ليأخذ أحدكم قلما شاكرًا أو لسانًا ذاكرًا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته. ت. وحسه، و. ه.

واللفظ له من حديث وفيه انقطاع

(٢) حديث: فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بحصلتين، كانت زوجته عونًا له على المعصية، وأزواجه  
 أعوان لى على الطاعة. وكان شيطانه كافرًا، وشيطانى مسلم لا يأمر إلا بخير. ورواه الخطيب في  
 التاريخ، من حديث ابن عمر، وفيه محمد بن وليد بن أنان بن القلانسي، قال ابن عدى كان يضع  
 الحديث. ولمسلم من حديث ابن مسعود، ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا  
 وإياك يا رسول الله؟ قال وأنا، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ولم يأمرنى إلا بخير

(٣) البقرة: ٢٠٩ (٢) النحل: ٩٧

منها من يحترز ، خيفة من القصور عن القيام بحقوقها وإلا فقد قال عليه الصلاة والسلام <sup>(١)</sup> «يَوْمٌ مِنْ وَالٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةٍ سَبْعِينَ سَنَةً» ثم قال <sup>(٢)</sup> «أَلَا كَلِّكُمْ رَاعٍ وَكَلِّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» وليس من اشتغل باصلاح نفسه وغيره ، كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ، ولا من صبر على الأذى ، كمن رفق نفسه وأراحها ، ففحاسة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله . ولذلك قال بشر . فضل على أحمد بن حنبل بثلاث : إحداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره . وقد قال عليه الصلاة والسلام <sup>(٣)</sup> «مَا أَنْفَقَهُ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُؤْجَرُ فِي اللَّقْمَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِهِ» وقال بعضهم لبعض العلماء : من كل عمل أعطاني الله نصيبا ، حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما ، فقال له أين أنت من عمل الابدال ؟ قال وما هو ؟ قال كسب الحلال ، والإنفاق على العيال . وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو : تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه ؟ قالوا ما نعلم ذلك ، قال أنا أعلم ، قالوا فما هو ؟ قال رجل متعفف ذو عائلة ، قام من الليل فنظر إلى صديانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه ، فعمله أفضل مما نحن فيه . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> «مَنْ حَسَدَتْ صَلَاتُهُ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُ ، وَقَلَّ مَالُهُ ، وَلَمْ يَغْتَسِبِ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ» وفي حديث آخر <sup>(٥)</sup> «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ» وفي الحديث <sup>(٦)</sup> «إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ

(١) حديث : يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة . ثم قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . طب ، وهق ، من حديث ابن عباس ، وقد تقدم بالفظ ستين سنة ، دون ما يعمده فانه متفق عليه من حديث ابن عمر

(٢) حديث : ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امرأته ، خ . م . من حديث ابن مسعود ، اذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحسبها ، كانت له صدقة . ولها من حديث سعد بن أبي وقاص ، ومهما أنفقت فهو لك صدقة ، حتى اللقمة ترفعها الى في امرأتك

(٣) حديث : من حسدت صلاته ، وكثر عياله ، وقل ماله ، ولم يغتسب المسلمين ، كان معي في الجنة كهاتين .

أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري ، بسند ضعيف

(٤) حديث : إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال . . . من حديث عمران بن حصين ، بسند ضعيف

(٥) حديث : إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها . أحمد من حديث عائشة ، إلا أنه قال بالحزن فيه ليت بن أبي سليم مختلف فيه

الْعَبْدُ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهِمُ الْعِيَالِ يُكْفِّرُهَا عَنْهُ» وقال بعض السلف : من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا النعم بالعيال . وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> أنه قال « مِنْ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا يُكْفَرُهَا إِلَّا اللَّهُ بِطَلَبِ الْمَعِيشَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَأَتَقَى عَلَيْهِنَّ وَأَحْسَنَ لِهِنَّ حَتَّى يُغْنِيَهُنَّ اللَّهُ عَنْهُ أَوْ جَبَّ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ أَلْبَتَّةَ أَلْبَتَّةِ إِلَّا أَنْ يَمْعَلَ عَمَلًا لَا يُقْفَرُ لَهُ » كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال : والله هو من غرائب الحديث وغرره

وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت ، فعرض عليه التزويج ، فامتنع وقال : الوحدة روح لقلبي ، وأجمع لهمي . ثم قال : رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها ، كأن أبواب السماء فتحت ، وكان رجالا ينزلون ويسرون في الهواء ، يتبع بعضهم بعضا ، فكما نزل واحد نظر إلى وقال لمن ورائه ، هذا هو المشثوم ، فيقول الآخر نعم ، ويقول الثالث كذلك ، ويقول الرابع نعم ، تخفت أن أسألكم هية من ذلك ، إلى أن مر بي آخرهم ، وكان غلاما ، فقلت له يا هذا : من هذا المشثوم الذي تومنون إليه ؟ فقال أنت ، فقلت ولم ذلك ؟ قال كنا نرفع عملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله ، فنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين ، فاندري ما أحدثت ، فقال لا خراثة : زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث . وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام ، إن قومادخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم ، فكأن يدخل ويخرج إلى منزله ، فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت ، فتمجبوا من ذلك ، فقال لا تعجبوا ، فإني سألت الله تعالى وقلت : ما أنت معاقب لي به في الآخرة ، فمجله لي في الدنيا . فقال إن عقوبتك بنت فلان تتزوج بها ، فتزوجت بها ، وأنا صابر على ما ترون منها . وفي الصبر على ذلك رياضة النفس

(١) حديث : من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله بطالب المعيشة . الطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص المتشابه ، من حديث أبي هريرة ، بإسناد ضعيف

(٢) حديث : من كان له ثلاث بنات فأتقن عليهن ، وأحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه ، أوجب الله له الجنة ألبتة ، إلا أن يعمل عملا لا يقفر له . الحرائطي في مكارم الأخلاق ، من حديث ابن عباس ، بإسناد ضعيف وهو عنده باللفظ آخر ، ولأبي داود واللفظ له ، والترمذي من حديث أبي سعيد من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن اليهن ، فله الجنة ، ورجاله ثقات ، وفي سنده اختلاف

وكسر الغضب ، وتحسين الخلق ، فإن المنفرد بنفسه ، أو المشارك لمن حسن خلقه ، لا تترشح منه خيائث النفس الباطنة ، ولا تنكشف بواطن عيوبه . فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحركات ، واعتياد الصبر عليها ، لتعتدل أخلاقه ، وترتاض نفسه ، ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه . والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم ، وقيام بهم ، وعبادة في نفسها

فهذه ألياف من الفوائد ، ولكنه لا ينتفع بها إلا الأحرار الجاهدين ، إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق ، لكونه في بداية الطريق ، فلا يمد أن يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه ، وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطل ، وحركة بالفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح ، بصلاة أو حج أو غيره ، فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه ، التي لا تمتدئ خيرها إلى غيره ، فاما الرجل المهذب الأخلاق ، إما بكفاية في أصل الخلقة ، أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض ، فإن الرياضة هو مكفي فيها . وأما العباد في العمل بالكسب لهم ، فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائده أكثر من ذلك ، وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة

## آفات النكاح

أما آفات النكاح فثلاث

الأولى : وهي أقواها المعجز عن طلب الحلال . فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعاش ، فيكون النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام ، وفيه هلاكه وهلاك أهله ، والمتعرب في أمن من ذلك ، وأما المتزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل سوء فتيح هوى زوجته ، ويبيع آخرته بدنياء ، وفي الخبر <sup>(١)</sup> «إِنَّ الْعَبْدَ

(١) حديث : إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ، فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم الحديث . لم أقف له على أصل

لَيُوقَفَ عِنْدَ الْمِيزَانِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ فَيُسْأَلُ عَنْ رِعَايَةِ عَائِلَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهِمْ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، حَتَّى يَسْتَعْرِقَ بِبَيْتِكَ الْمُطَابَّاتِ كُلَّ أَعْمَالِهِ فَلَا تَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ ، فَتُنَادَى الْمَلَائِكَةُ : هَذَا الَّذِي أَكَلَ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَازْهِنِ الْيَوْمَ بِأَعْمَالِهِ » ويقال إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده ، فيوقفونه بين يدي الله تعالى ، ويقولون يا ربنا خذنا بحقنا منه ، فإنه ما علمنا ما نجعل ، وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم . فيقتص لهم منه ، وقال بعض السلف : إذا أراد الله بمبد شرا ، سلط عليه في الدنيا أنيابا تنهشه ، يعنى الميال . وقال عليه الصلاة والسلام <sup>(١)</sup> « لَا يَلْقَى اللَّهُ أَحَدًا بِذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْ جَهْلَةِ أَهْلِهِ » فهذه آفة عامة ، قل من يتخلص منها ، إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال ينفق به وبأهله ، وكان له من القناعة ما ينعمة من الزيادة ، فإن ذلك يتخلص من هذه الآفة . أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات ، باحتطاب أو اصطياد . أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين ، ويقدر على أن يعامل به أهل الخير . ومن ظاهره السلامة ، وغالب ماله الحلال . وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزويج فقال : هو أفضل في زماننا هذا من أدركه شبق غالب مثل الحمار يرى الأثان فلا ينتهى عنها بالضرب ، ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه أولى

الآفة الثانية : التقصير عن القيام بحقوقهم ، والصبر على أخلاقهم ، واحتفال الأذى منهم وهذه دون الأولى في العموم فإن القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى ، وتحسين الخلق مع النساء ، والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال ، وفي هذا أيضا خطر ، لأنه راع ومسؤول عن رعيته . وقال عليه الصلاة والسلام <sup>(٢)</sup> « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ » وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ، ومن يقصر عن القيام بحقوقهم ، وإن كان حاضرا ، فهو بمنزلة هارب ، فقد قال تعالى

(١) حديث : لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله . ذكره صاحب الفردوس ، من حديث أبي سعيد ولم يحده ولده أبو منصور في مسنده

(٢) حديث : كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول . د.ن. بلفظ من يعول ، وهو عند م.م. بلفظ آخر

« قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا » أمرنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسنا ، والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه ، وإذا تزوج تضاعف عليه الحق ، وانضافت الى نفسه نفس أخرى ، والنفس أمارة بالسوء ، ان كثرت كثرت الامر بالسوء ، غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج ، وقال أنا مبتلى بنفسي وكيف أضيف اليها نفسا أخرى ، كما قيل

لن يسع الفأرة جحرها \* علق المكنس في دبرها

وكذلك اعتذر ابراهيم بن أدهم رحمه الله وقال : لأغر امرأة بنفسي ، ولا حاجة لي فيهن أى من القيام بحقهن وتخصيئتهن وامتناعهن وأنا عاجز عنه . وكذلك اعتذر بشر وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ » وكان يقول : لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصبح جلادا على الجسر ، ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان ، فقيل له ما هذا موقفك ؟ فقال : وهل رأيت ذاعيال أفلح ؟ وكان سفيان يقول

يا حبذا العزبة والمفتاح \* ومسكن تحرقه الرياح \* لا صخب فيه ولا صياح

فهذه آفة عامة أيضا ؛ وان كانت دون عموم الاولى ، لا يسلم منها الا حكيم عاقل ، حسن الأخلاق ، بصير بمعادات النساء ، صبور على لسانهن ، وقاف عن اتباع شهواتهن ، حريص على الوفاء بحقهن ، يتغافل عن زللهن ؛ ويدارى بعقله أخلاقهن . والاعلم على الناس السفة والفظاظة والحدة والطيش ، وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف . ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة ، فالوحدة أسلم له .

الآفة الثالثة : وهى دون الاولى والثانية ، أن يكون الأهل والولد شاغلين عن الله تعالى وجاذباله الى طلب الدنيا ، وحسن تدبير المعيشة للاولاد ، بكثرة جمع المال وادخاره لهم ، وطلب التفاخر والتكاثر بهم . وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشؤم على صاحبه ، ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور ، فان ذلك مما اندرج تحت الآفة الاولى والثانية ، بل أن يدعو إلى التمتع بالمباح ، بل الاعراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن ، والامعان في التمتع بهن ، ويشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس ، تستغرق القلب ، فينقضى الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيها للتفكير فى الآخرة والاستعداد لها . ولذلك قال

(١) التحريم : ٦

إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، من تعود أخذ النساء لم يجيء منه شيء . وقال أبو سليمان رحمه الله ، من تزوج فقد ركن إلى الدنيا . أي يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد

فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور ، بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكما ، ويمرض المرید عليه نفسه فان انتفت في حق الآفات ، واجتمعت الفوائد بان كان له مال حلال ، وخلق حسن ، وجد في الدين تام ، لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالمشيئة ، فلا يمارى في أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى في تحصيل الولد . فان انتفت الفوائد واجتمعت الآفات ، فالعزوبة أفضل له . وان تقابل الامر ان وهو الغالب ، فيتبني أن يوزن بالميزان القسط حفظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحفظ تلك الآفات في النقصان منه ، فاذا غلب على الظن رجحان أحدهما ، حكم به . وأظهر الفوائد الولد ، وتسكين الشهوة ، وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله ، فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول

من لم يكن في أذية من الشهوة ، وكانت فائدة نكاحه في السعى لتحصيل الولد ، وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله ، فالعزوبة له أولى . فلا خير فيما يشغل عن الله ، ولا خير في كسب الحرام : ولا يبقى بنقصان هذين الامرين أمر الولد ، فان النكاح للولد سعى في طلب حياة للولد موهومة ، وهذا نقصان في الدين ناجز . فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى في الولد ، وذلك ربح ، والدين رأس مال ، وفي فساد الدين بطلان الحياة الاخرية ، وذهاب رأس المال . ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآفتين . وأما اذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة . لتوقان النفس إلى النكاح ، نظر ، فان لم يقو لجام التقوى في رأسه ، وخاف على نفسه الزنا ، فالنكاح له أولى . لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا ، أو يأكل الحرام ، والكسب الحرام أهون الشرين . وان كان يثق بنفسه أنه لا يترن ، ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام ، فترك النكاح أولى لأن النظر حرام ، والكسب من غير وجهه حرام ، والكسب يقع دائما ، وفيه عصيانا وعصيان أهله

والنظر يقع أحيانا ، وهو يخصه ، وينصرف على قرب . والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام ، إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى عصية الفرج ؛ فيرجع ذلك إلى خوف العنت . واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ، ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى العفو أقرب ، وإنما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه .

فهكذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد ، ويحكم بحسبها : ومن أحاط بهذا لم يشكك عليه شيء مما نقلنا عن السلف من رغبة في النكاح مرة ، ورغبة عنه أخرى ، إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح .

فإن قلت . فمن أمن الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟

فأقول يجمع بينهما ، لأن النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ، ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب . فإن قدر على الكسب الحلال ، فالنكاح أيضا أفضل ، لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة ، والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فإن فرض كونه مستغرقا للأوقات بالكسب ، حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة ، فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة ، أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية ، فالنكاح له أفضل ، لأن في كسب الحلال والقيام بالأهل ، والسعى في تحصيل الولد ، والصبر على أخلاق النساء ، أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات . وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن ، والكسب يشوش عليه ذلك ، فترك النكاح أفضل .

فإن قلت . فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله ، وإن كان الأفضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج ؟ فأعلم أن الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر ، ومن قويت مته ، وعلت همة ، فلا يشغله عن الله شغل . ورسولنا عليه



السلام أخذ بالقوة ، وجمع بين فضل العبادة والنكاح ، ولقد كان مع <sup>(١)</sup> تسع من النسوة متغلبا لعبادة الله ، وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع ، كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير ، حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة ، وقلوبهم مشغوفة بهمهمهم ، غير غافلة عن مهماتهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته ، لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى <sup>(٢)</sup> فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ، ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره ، فلا يبعد أن يغير السواقى ما لا يغير البحر الخضم ، فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره .

وأما عيسى صلى الله عليه وسلم فإنه أخذ بالحزم لا بالقوة ، واحتاط لنفسه ، ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل ، أو يتعذر منها طلب الحلال ، أو لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فأثر التخلي للعبادة . وهم أعلم بأسرار أحوالهم ، وأحكام أعصارهم . في طيب المكاسب وأخلاق النساء ، وما على الناكح من غوائل النكاح ، وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال منقسمة ، حتى يكون النكاح في بعضها أفضل ، وتركه في بعضها أفضل فحقنا أن نزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال ، والله أعلم .

## الباب الثاني

فيما يراعى حالة المقد من أحوال المرأة وشروط المقد

### المقد

أما المقد فأركانها وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة :

الأول : إذن الولي ، فإن لم يكن فالسلطان .

الثاني : رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغا ، أو كانت بكر بالغا ، ولكن زوجها غير الأب والجد .

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة . خ . من حديث أنس ، وله من حديثه أيضا ، وهن إحدى عشرة  
(٢) حديث : كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته . خ . من حديث أنس . يا أم سلة لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة متكن غيرها .

الثالث: حضور شاهدين ظاهري العدالة ، فان كانا مستورين حكما بالانعتاد للحاجة .  
 الرابع: إيجاب وقبول متصل به ، بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان  
 من شخصين مكافئين ليس فيهما امرأة ، سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما .  
 وأما آدابه ، فتقديم الخطبة مع الولي ، لافي حال عدة المرأة ، بل بعد انقضائها إن كانت  
 معتدة ، ولا في حال سبق غيره بالخطبة ، إذ نهى عن الخطبة على الخطبة <sup>(١)</sup>

ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ، ومزج التحميد بالإيجاب والقبول ، فيقول المزوج :  
 الحمد لله ، والصلاة على رسول الله ، زوجتك ابنتي فلانة . ويقول الزوج : الحمد لله ، والصلاة  
 على رسول الله ، قبلت نكاحها على هذا الصداق . وليكن الصداق معلوما خفيفا . والتحميد  
 قبل الخطبة أيضا مستحب

ومن آدابه أن يلتقي أمر الزوج إلى سماع الزوجة ، وإن كانت بكرا . فذلك أحرى وأولى  
 بالألفة ، ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح ، فانه أحرى أن يؤدم بينهما .

ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح ، زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنا للصحة  
 ومنها أن ينوى بالنكاح إقامة السنة ، وغض البصر ، وطلب الولد ، وسائر الفوائد  
 التي ذكرناها . ولا يكون قصده مجرد الهوى والمتع ، فيصير عمله من أعمال الدنيا . ولا  
 يمنع ذلك هذه النيات ، فرب حق يوافق الهوى . قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : إذا  
 وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان . لا يستحيل أن يكون كل واحد من حفظ النفس  
 وحق الدين باعثا معا . ويستحب أن يعقد في المسجد ، وفي شهر شوال . قالت عائشة رضي  
 الله عنها <sup>(٢)</sup> تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبني بي في شوال .

وأما النكوة فيمتبر فيها نوعان أحدهما للحل ، والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد .  
 النوع الأول ما يعتبر فيه الحل . وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح . والموانع تسعة عشر

(١) حديث : النهي عن الخطبة على الخطبة ، متفق عليه ، من حديث ابن عمر : ولا يخطب على خطبة أخيه  
 حتى يترك الخطاب قبله ، أو يأذن له

(٢) حديث عائشة : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبني بي في شوال ، رواه . م .

الأول : أن تكون منكوحة للغير .

الثاني : أن تكون معتدة للغير ، سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة . أو

كانت في استبراء وطء عن ملك يمين

الثالث : أن تكون مرتدة عن الدين ، لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر .

الرابع : أن تكون بجوسية .

الخامس : أن تكون وثنية أو زندية ، لا تنسب إلى نبي وكتاب . ومنهن المعتقدات

لمذهب الإباحة ، فلا يحل نكاحهن . وكذلك كل معتقدة مذهباً فاسداً يحكم بكفر معتقده

السادس : أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل ، أو بعد مبعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل . فإذا عدت كلتا الخصلتين ،

لم يحل نكاحها . وإن عدت النسب فقط ، ففيه خلاف .

السابع : أن تكون رقيقة ، والنكاح حراً قادراً على طول الحرة ، أو غير خائف من العنت

الثامن : أن تكون كلها أو بعضها مملوكاً للنكاح ملك يمين

التاسع : أن تكون قريبة الزوج ، بأن تكون من أصوله ، أو فصوله ، أو فصول أول

أصوله ، أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل . وأعني بالأصول الأمهات والجندات ،

وبفصوله الأولاد والأحفاد ، وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم ، وبأول فصل من

كل أصل بعده أصل العمات والخالات دون أولادهن .

العاشر : أن تكون محرمة بالرضاع . ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول

والفصول كما سبق ، ولكن المحرم خمس رضعات ، وما دون ذلك لا يحرم

الحادي عشر : المحرم بالمصاهرة ، وهو أن يكون النكاح قد نكح ابنتها أو جدتها ،

أو ملك بمقد أو شبهة عقد من قبل ، أو وثنتين بالشبهة في عقد ، أو وطئ أمها أو إحدى

جداتها بمقد أو شبهة عقد ، فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ، ولا يحرم فروعها إلا

بالوطء . أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل

الثاني عشر : أن تكون المنكوحة خامسة ، أي يكون تحت النكاح أربع سواها ،

إما في نفس النكاح أو في عدة يتونه لم تمنع الخامسة

الثالث عشر : أن يكون تحت النكاح أختها ، أو عمتها أو خالتها ، فيكون بالنكاح جامعا بينهما . وكل شخصين بينهما قرابة ، لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يجوز بينهما النكاح ، فلا يجوز أن يجمع بينهما

الرابع عشر : أن يكون هذا النكاح قد طلقها ثلاثا ، فهي لا تحل له ، ألم يطأها زوج غيره في نكاح صحيح

الخامس عشر : أن يكون النكاح قد لاعنها ، فانها تحرم عليه أبدا بعد اللعان

السادس عشر : أن تكون محرمة بحج أو عمرة ، أو كان الزوج كذلك ، فلا ينعقد

النكاح إلا بعد تمام التحلل

السابع عشر أن تكون ثيبا صغيرة ، فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ

الثامن عشر : أن تكون يتيمة ، فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ

التاسع عشر : أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ممن توفي عنها أو

دخل بها ، فإنهن أمهات المؤمنين . وذلك لا يوجد في زماننا

فهذه هي الموانع المحرمة

أما الخصال الطبية للعيش ، التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد ، وتتوفر مصادمه ، ثمانية : الدين ، والخلق ، والحسن ، وخفة المهر ، والولادة ، والبسكرة ، والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة .

الأولى : أن تكون صالحة ذات دين ، فهذا هو الأصل ، وبه ينبغي أن يقع الاعتناء . فانها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ، أزرت بزوجها ، وسودت بين الناس وجهه ، وشوشت بالغيرة قلبه ، وتنقص بذلك عيشه . فإن سلك سبيل الحمية والغيرة ، لم يزل في بلاء ومحنة . وإن سلك سبيل التساهل ، كان متهاونا بدينه وعرضه ، ومنسوبا إلى قلة الحمية والافتة . وإذا كانت مع الفساد جميلة ، كان بلاؤها أشد ، إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ، ولا يصبر عليها ، ويكون كالذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>

(١) حديث : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي امرأة لاترد يد لأمس قال طأنها الحديث

دون من حديث ابن عباس قال ان ليس بثابت والمرسل أولى بالعدو اب وقال أحمد حديث مكر

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات

وقال «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي امْرَأَةً لَا تَرُدُّ يَدَ لَأَمْسٍ، قَالَ طَلِّقْهَا. فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّهَا قَالَ أُمْسِكْهَا» وإنما أمره بامساكها ، خوفاً عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه ، وفسدها أيضاً معها  
ف رأى مافي دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى

وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله ، أو بوجه آخر . لم يزل العيش مشوشاً معه .  
فإن سكنت ولم ينكره ، كان شريكاً في المعصية . مخالفًا لقوله تعالى (فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا<sup>(١)</sup>) وإن أنكر وخاصم ، تنقص العمر . ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحريض على ذات الدين . فقال <sup>(٢)</sup> «تَنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا وَحَسَبِهَا وَدِينِهَا ، فَعَمَلُكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ» وفي حديث آخر <sup>(٣)</sup> «مَنْ نَكَحَ الْمَرْأَةَ لِمَالِهَا وَجَمَالِهَا حُرِّمَ جَمَالُهَا وَمَالُهَا وَمَنْ نَكَحَهَا لِدِينِهَا رَزَقَهُ اللَّهُ مَالَهَا وَجَمَالَهَا» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> «لَا تَنْكَحِ الْمَرْأَةَ لِنَجْمِهَا فَلَعَلَّ جَمَالَهَا يُرْدِيهَا وَلَا لِمَالِهَا فَلَعَلَّ مَالَهَا يُطْغِيهَا وَلَا تَنْكَحِ الْمَرْأَةَ لِدِينِهَا» وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين . فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له .

الثانية : حسن الخلق . وذلك أصل مهم في طلب الفراغة والاستعانة على الدين ، فإنها إذا كانت سليطة بذية اللسان ، سيئة الخلق كافرة للنعم ، كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يتجن به الأولياء ، قال بعض العرب ، لا تنكحوا من النساء ستة : لا أمانة ولا منانة ، ولا حنانة ، ولا تنكحوا حداقة ، ولا براقة ولا شداقة . أما الأمانة ، فهي التي تكثر الأتین والنشكى وتعصب رأسها كل ساعة . فتكاح المراضة أو نكاح المتمازضة لا خير فيه . والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا ، والحنانة التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر ، وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه ، والحداقة التي ترمي

(١) حديث : تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث : من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم ماله وجماله الحديث : الطبراني في الاوسط من حديث أس

من تزوج امرأة لعزها لم يرده الله الا دلا ومن تزوجها لماله لم يرده الله الا فقراً ومن تزوجها

لحبها لم يرده الله الا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردها الا أن يغض بصره ويحصى فرجه أو

يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب في الضعفاء .

(٣) حديث : لا تنكح المرأة لماله فلعل جمالها يرديها . من حديث عبد الله بن عمر وبسند ضعيف

(١) التحريم : ٦٦

إلى كل شيء، بحدقتها فتشبهه، وتكلف الزوج شراءه. والبراقة تحتل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه، ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع، والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها، وتستقل نصيبها من كل شيء، وهذه لغة عمانية، يقولون برقت المرأة، وبرق الصبي الطعام، إذا غضب عنده: والشداقة المتشقة الكثيرة الكلام. ومنه قوله عليه السلام<sup>(١)</sup> «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْغُضُ الثَّرَاقِينَ الْمُتَشَدِّقِينَ». وحكى أن السامع الأزدي لقي الياس عليه السلام في سياحة فأمره بالتزويج ونهاه عن التبتل. ثم قال، لا تنكح أربعا: المختلعة، والمبارية، والماهرة، والناشر. فأما المختلعة، فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب. والمبارية المباهية بغيرها، المفاخرة بأسباب الدنيا. والماهرة الفاسقة التي تعرف بخيل وخدن، وهي التي قال الله تعالى «وَلَا تُتَخَذَاتِ أَخْدَانًا»<sup>(٢)</sup> والناشر التي تملو على زوجها بالفعال والمقال. والنشر المال من الأرض وكان على رضى الله عنه يقول: شر خصال الرجال خير خصال النساء، البخل، والزهو، والجبن. فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها. وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام ابن مريب. وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة، خيفة من زوجها.

فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح

الثالثة: حسن الوجه. فذلك أيضا مطلوب، إذ به يحصل التحصن. والطبع لا يكتفى بالديمية غالبا، كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان. وما نقلناه من الحث على الدين وإن المرأة لا تنكح لجمالها، ليس زجرا عن رماية الجمال. بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين. فإن الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح، ويهون أمر الدين. ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال، أن الألف والمودة تحصل به غالبا، وقد ندب

(١) حديث: إن الله يبغض الثرثارين للتشدين: توحنه من حديث جابر وأن ابغضكم إلى وأباعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والتشدقون والتضيقون ولأبي داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو أن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تحلل الباقرة بلسانها

الشرع إلى مراعاة أسباب الالفة، ولذلك استحَب النظر. فقال <sup>(١)</sup> «إِذَا أَوْقَعَ اللَّهُ فِي نَفْسٍ أَحَدِكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤَدِمَ بَيْنَهُمَا» أي يؤلف بينهما، من وقوع الأدمة على الأدمة، وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة. وانما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف

وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> «إِنْ فِي أُعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهُنَّ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِنَّ» قيل كان في أعينهن عَمَش. وقيل صغر

وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائهم إلا بعد النظر، احترازاً من الغرور، وقال الأعشى كل تزويج يقع على غير نظر فأخره ثم وغم: ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال من القبح

وروى أن رجلاً تزوج على عهد عمر رضي الله عنه، وكان قد خضب، فنصل خضابه، فاستعذى عليه أهل المرأة إلى عمر، وقالوا حسبناه شاباً فأوجمه عمر ضرباً. وقال غررت القوم وروى أن بلالاً وصهيباً أنيا أهل بيت من العرب، فخطبا إليهم، فقيل لهما من أتما؟ فقال بلال أنا بلال، وهذا أخى صهيب، كنا ضالين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله. فان تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله. فقالوا بل تزوجان، والحمد لله. فقال صهيب لبلال، لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال اسكت، فقد صدقت فأنكحك الصدق

والغرور يقع في الجمال والخلق جميعاً، فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر، وفي الخلق بالوصف والاسنيصاف. فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح، ولا يستوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق، خبير بالظاهر والباطن، ولا يعيل إليها فيفرط في الثناء،

(١) حديث: إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما: ابن ماجه بسند

ضعيف من حديث محمد بن مسلمة دون قوله فإنه أحرى ولا ترمذى وحسنه والنسائي وابن ماجه عن حديث النخعي بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما

(٢) حديث: إن في أعين الأنصار شيئاً فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن: مسلم من حديث أبي هريرة نحوه.

ولا يحسدها فيقتصر . فالطباع مائلة في مبادئ الزكاح ، ووصف المنكوحات إلى الافراط والتفريط ، وقل من يصدق فيه ويقتصد ، بل الخداع والاعراء أغلب ، والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه النشوف إلى غير زوجته

فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة ، أو الولد ، أو تدير المنزل ، فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب . لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قد يمين على الدين في حق بعض الأشخاص . قال أبو سليمان الداراني ، الزهد في كل شيء حتى في المرأة ، يتزوج الرجل المعجوز إشاراً للزهد في الدنيا . وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول ، يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فيؤحر فيها ، إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ، ويتزوج بنت فلان وفلان ، يعني أبناء الدنيا ، فتشتهي عليه الشهوات ، وتقول اكسني كذا وكذا واختار أحد بن حنبل عوراء على أختها ، وكانت أختها جميلة ، فسأل من أعقدهما ؟ فقل العوراء ، فقال روجوني إياها . فهذا دأب من لم يقصد التمتع

فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع ، فليطلب الجمال . فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسناء ، خيرة الأخلاق ، سوداء الحديقة والشعر ، كبيرة العين ، بيضاء اللون ، محبة لزوجها ، قاصرة الطرف عليه ، فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله ( خَيْرَاتٌ حِسَانٌ )<sup>(١)</sup> أراد بالخيرات حسنات الأخلاق ، وفي قوله ( قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ )<sup>(٢)</sup> وفي قوله ( غُرُبَاءٌ أُرْبَابًا )<sup>(٣)</sup> العروب هي العاشقة لزوجها ، المشتبهة للوقاع ، وبه تتم اللذة والحوور البيضاء ، والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر . والعيناء الواسعة العين . وقال عليه السلام<sup>(٤)</sup> « خَيْرُ نِسَائِكُمْ . مَنْ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا سَرَّتْهُ ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا » وَمَالُهُ وَإِنَّمَا يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج

الرابعة : أن تكون خفيفة المهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> خَيْرُ النِّسَاءِ

(١) حديث : خير نساءكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته وأن أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله السائل من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تخالقه في نفسها ولا

مالمها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح

(٢) حديث : خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهراً ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن

(٣) الرحمن : ٧٠ (٤) الرحمن : ٥٦ (٥) الواقعة : ٣٧



أَحْسَنُ وَجُوهًا وَأَرْخَصَهُنَّ مَهْرًا» وقد نهى<sup>(١)</sup> عن المغالة في المهر؛ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت، وكان رحي يد، وجرة، ووسادة من آدم حشوها ليف<sup>(٣)</sup>. وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير. وعلى أخرى<sup>(٤)</sup> بمدين من تمر، ومدين من سويق.

وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالة في الصداق، ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم ولو كانت المغالة بمهور النساء مكرمة، لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> على نواة من ذهب، يقال قيمتها خمسة دراهم. وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين، ثم

---

أيسره من صداق وله من حديث عائشة من بين المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرته الأهلين أن أعظم النساء ركة أصبحن وجوها وأقلهن مهراً وصححه (١) حديث: التبر عن المغالة في المهر أصحاب السنن الأربعة موقوفاً على عمر وصححه الترمذي (٢) حديث: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبخاري من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخاري ورأيت في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما وزواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث علي لما تزوج فاطمة بث معها بخمسة ووسادة آدم حشوها ليف ورعيين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن حبان مختصراً.

- (٣) حديث: أولم على بعض نسائه بمدين من شعير البخاري من حديث عائشة  
(٤) حديث: وأولم على أخرى بمدين تمر ومدين سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم قبل الرجل يجيء، فضل التمر وفضل السويق وفي الصحيحين التمر والأقط والسمن وليس في شيء من الأصول تهديد التمر والسويق بمدين  
(٥) حديث: كان عمر ينهاى عن المغالة ويهول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح  
(٦) حديث: تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقوينا بخمسة دراهم رواه البيهقي

حملها هو إليه ليلاً ، فأدخلها هو من الباب ، ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام ، فسلم عليها ولوتزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به . وفي الخبر <sup>(١)</sup> « مِنْ بَرَكَاتِ الْمَرْأَةِ سُرْعَةُ تَزْوِيجِهَا وَسُرْعَةُ رَحِمِهَا ، أَيْ الْوِلَادَةُ ، وَيُسْرُ مَهْرِهَا » وقال أيضاً <sup>(٢)</sup> « أَبْرَكُنَّ أَقْلُهُنَّ مَهْرًا »

وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة ، فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل . ولا ينبغي أن ينكح طمعا في المال . قال الثوري : إذا تزوج وقال أي شيء للمرأة فاعلم أنه لص وإذا أهدى اليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه . وكذلك إذا أهدوا إليه ، فنية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادي فستحب ، وهو سبب المودة . قال عليه السلام <sup>(٣)</sup> « تَهَادَوْا تَحَابُّوا » وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى ( وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ) <sup>(٤)</sup> أي تعطى لتطلب أكثر . وتحت قوله تعالى ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّكَ إِلَّا بَوَقْفٍ أَمْوَالِ النَّاسِ ) <sup>(٥)</sup> فإن الربا هو الزيادة . وهذا طلب زيادة على الجملة . وإن لم يكن في الأموال الربوية . فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح ، يشبه التجارة والقمار ، ويفسد مقاصد النكاح

الخامسة : أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزويجها . قال عليه السلام <sup>(٦)</sup> « عَلَيْكُمْ بِالْوَلَدِ الْوَدُودِ » فإن لم يكن لها زوج ، ولم يعرف حالها ، فيراعى صحتها وشبابها فإنها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين

(١) حديث : من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها أي الولادة وتيسير مهرها أحمد والبيهقي . من حديث عائشة من بين المرأة أن تيسر خطبتها وإن يتيسر صداقها وإن يتيسر رحمها قال عروة يعني الولادة واسناده جيد

(٢) حديث : أركن أقلهن مهراً أبو عمر النوفلي في معاشر الأهلين من حديث عائشة أن أعظم النساء بركة صبحن وجوها وأقلهن مهراً وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أي سرهن صداقا واسناده جيد

(٣) حديث : تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد

(٤) حديث : عليكم بالودود الودود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوج الودود الودود واسناده صحيح

(٥) المدثر ٦ : (٢) الروم : ٣٩

السادسة : أن تكون بكرا . قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا<sup>(١)</sup> « هَلَا بِكَرًا تَلَاَعِبَهَا وَتَلَاَعِبُكَ »

وفي البكارة ثلاث فوائد

احداها : أن تحب الزوج وتألفه ، فيؤثر في معنى الود : وقد قال صلى الله عليه وسلم « عَلَيْكُمْ بِالْوُدِّ » والطباع مجبولة على الانس بأول مألوف : وأما التي اختبرت الرجال وما رست الاحوال ، فربما لا ترضى بعض الاوصاف التي تخالف ما ألفته ، فتقتل الزوج الثانية : أن ذلك أكمل في مودته لها ، فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يشغل على الطبع مهما يذكر . وبعض الطباع في هذا أشد نفورا

الثالثة : انها لا تمن الى الزوج الاول ، وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا السابعة : أن تكون نسيبة . أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح . فانها تستر بي بناتها وبنيتها ، فاذا لم تكن مؤدبة ، لم تحسن التأديب والتربية . ولذلك قال عليه السلام<sup>(٢)</sup> « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ » فقليل ما خضراء الدمن قال « الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْمُنْتَبِتِ الشَّوْءُ » وقال عليه السلام<sup>(٣)</sup> « تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ الْمَرْقَ نَزَاعٌ »

الثامنة : أن لا تكون من القرابة القريبة . فان ذلك يقلل الشهوة . قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « لَا تَنْكِحُوا الْقَرَابَةَ الْقَرِيبَةَ فَإِنَّ الْوَلَدَ يُخْلَقُ ضَاوِيًا » أي نحيفا . وذلك لتأثيره في تضعيف

(١) حديث : قال لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر

(٢) حديث : إياكم وخضراء الدمن قليل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في المنتبت السوء . الدار قطنى في الافراد والرامهرمزي في الأمتال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدار قطنى تفرد به الواقدي وهو ضعيف

(٣) حديث : تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ابن ماجه من حديث عائشة عنصرا دون قوله فان العرق وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس وروى أبو موسى المديني في كتاب تضعيف العمر والايام من حديث ابن عمر وانظر في أي نصاب تضعف ولذلك فان العرق دساس وكلاهما ضعيف

(٤) حديث : لا تنكحوا القرابة فان الولد يخلق ضاويًا قال ابن الصلاح لم أجده له أصلا معتمدا . قلت انما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب قد أمسيتم فانكحوا في النوايع رواء ابراهيم الحروري في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ، ويقال اغربوا ولا تنصروا

الشهوة . فان الشهوة انما تنبث بقوة الاحساس بالنظر واللمس ، وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد . فاما المهور الذي دام النظر اليه مدة ، فانه يضمف الحس عن تمام ادراكه والتأثر به ولا تنبث به الشهوة  
فهذه هي الخصال المرغبة في النساء

ويجب على الولي أيضا أن يراعى خصال الزوج ، ولينظر لكريمته فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أو ضعف دينه ، أو فصر عن القيام بحقوقها ، أو كان لا يكافئها في نسبها . قال عليه السلام <sup>(١)</sup> «النكاح رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيْنَ يَضَعُ كَرِيْمَتَهُ» والاحياط في حقها أم ، لأنها رقيقة بالنكاح لا يخلص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال . ومهما زوج ابنته ظالماً ، أو فاسقاً ، أو مبتدعاً ، أو شارب خمر ، فقد جنى على دينه ، ومرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار . وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة ، فمن أزوجه ؟ قال ممن يتقى الله ، فان أحبها أكرمها ، وان أبغضها لم يظلمها . وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> «مَنْ زَوَّجَ كَرِيْمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا»

## الباب الثالث

في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح

والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة  
أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمراً : في الوليمة ، والمعاشرة ، والدعابة والسياسة والغيرة ، والنفقة ، والتعليم والقسم ، والتأديب في النشوز ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق .  
الأدب الأول : الوليمة وهي مستحبة : قال أنس رضي الله عنه «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) حديث : النكاح رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ أَيْنَ يَضَعُ كَرِيْمَتَهُ رواه أبو عمر التوفان في معاشره الاهلين موقوفاً

على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر : قال البيهقي وروى ذلك مرفوعاً والوقوف أصح

(٢) حديث : من زوج كَرِيْمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في

الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح

وسلم<sup>(١)</sup> عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْرٌ صُفْرَةٌ فَقَالَ مَا هَذَا؟ فَقَالَ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَافٍ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ . أَوَّلِمَ وَلَوْ بِشَاكٍ « وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> على صفية بئر وسويق ، وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> » طَعَامُ أَوَّلِ يَوْمٍ حَقٌّ وَطَعَامُ الثَّانِي سُنَّةٌ ، وَطَعَامُ الثَّالِثِ سُمْعَةٌ وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ « ولم يرفعه الا زياد ابن عبد الله ، وهو غريب

وتستحب تهنته ، فيقول من دخل على الزوج: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك<sup>(٤)</sup> ويستحب اظهار النكاح ، قال عليه السلام<sup>(٥)</sup> « فَصَلُّ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ الدُّفُ وَالصَّوْتُ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> « اَعْلَنُوا هَذَا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْذُّفُوفِ » وعن الربيع بنت معوذ قالت ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> فدخل على غداة بني بى ، فجلس على فراشي ، وجويرات لنا يضررن بدفهن ، ويندن من قتل من آباءى الى أن قالت لاحداهن \* وفينا نبى يعلم ما فى غد \* فقال لها واسككتي عن هذه وقولي الذى كنت تقوين قبلها »

الأدب الثانى : حسن البلق معهن ، واحتمال الأذى منهن ، ترهما عليهن لقصور عقلمن قال الله تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)<sup>(٨)</sup> وقال فى تعظيم حتمن (وَأَخْذُنَّ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)<sup>(٩)</sup> وقال (وَالصَّاحِبِ بِالنَّجَبِ)<sup>(١٠)</sup> قيل هى المرأة . وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواف من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه

(٢) : حديث أولم على صفية بسويق ونمر الاربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم

(٣) : حديث : طعام أول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به قال المصنف لم يرفعه الا زياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذى بعد ان أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه

(٤) : حديث أبي هريرة فى تهنته الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما - فى خير أبو داود والترمذى وصححه ابن ماجه وتقدم فى الدعوات

(٥) : حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذى وحسنه ابن ماجه من حديث محمد بن حاطب

(٦) : حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذى من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقى

(٧) : حديث : الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بى فجلس على فراشي وجويريات لنا يضررن بدفوفهن الحديث رواه البخارى وقال يوم بدر وقع فى بعض نسج

الاحياء يوم مات وهو وم

(٨) النساء : ١٩ (٩) النساء : ٢١ (١٠) النساء : ٣٩

(١) ثلاث ، كان يتكلم بهن حتى تلجج لسانه ، وخفي كلامه ، جعل يقول « التَّسْلَاةُ التَّسْلَاةُ تَوَا مَكَتْ أَمَّا نَسْكُمْ لَا تَكْلُفُوهُم مَّا لَا يُطِيقُونَ ، اللَّهُ فِي النَّسَاءِ فَاتِمٌ عَوَازِي فِي أَيْدِيكُمْ يَنْبَغِي أَسْرَاءُ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللَّهُ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ » وقال عليه السلام (٢) « مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ أَيُّوبَ عَلَى بَلَاءِهِ وَمَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجَتِهَا أَعْطَاهَا اللَّهُ مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ »

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوماً الى الليل <sup>(٤)</sup> وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر في الكلام فقال أتراجعيني يا لكساء ؟ فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك . فقال عمر : خابت حفصة وخسرت ان راجعته . ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن أبي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخوفها من المراجعة ، وروى أنه دفعت احداً من في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> فزبرتها لها فقال عليه السلام « دعيها

( ١ ) حديث : آخر ما أوصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلحظ لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلموهم ما لا يطيقون الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النساء في الكبرى وإن ما به من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموت جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمرءوف أن ذلك كان في حجة الوداع رواه مسلم في حديث جابر الطويل وفيه فاتقوا الله في النساء فانكم أحسنهن بأمانة الله الحديث

( ٢ ) حديث : من صبر على سوء امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب علي بلائه الحديث لم أقف له على أصل

(٣) حديث : كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتتهجره الواحدة مثنى يوماً الى الليل - الحديث متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فان نظاهرا عليه -

(٤) حديث : وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال أترجئى يا لكعاء قالت أن أرواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك - الحديث هو الحديث الذى قبله وليس فيه قوله يا لكعاء ولا قولها هو خير منك

(٥) حديث : دفعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعيا فاهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل

فَأَمَّنَ يَصْتَمَنَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ <sup>(١)</sup> وجرى بينه وبين عائشة كلام ، حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما ، واستشهده . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَكَلِّمِينَ أَوْ أَتَكَلِّمُ ؟ » فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فاطمها أبو بكر حتى دى فوها وقال ، يا عديّة نفسي أو يقول غير الحق ، فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقمّدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لَمْ نَدْعُكَ إِيهَذَا وَلَا أَرَدْنَا مِنْكَ هَذَا <sup>(٢)</sup> وقالت له مرة في كلام غضبت عنده ، أنت الذى تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حملا وكرما وكان يقول لها <sup>(٣)</sup> « إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكَ مِنْ رِضَاكَ » قالت وكيف تعرفه ؟ « قَالَ إِذَا رَضَيْتِ قُلْتِ لَا وَإِلَهُ مُحَمَّدٍ ، وَإِذَا غَضَبْتِ قُلْتِ لَا وَإِلَهُ إِبْرَاهِيمَ » قالت صدقت إنما أهبج اسمك <sup>(٤)</sup> ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها <sup>(٥)</sup> وكان يقول لها « كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأَمْ زَرْعٍ غَيْرِ أُنَى لَا أَطْلُقُكَ » وكان يقول لنسائه <sup>(٦)</sup> « لَا تُؤْذُونِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَى الْوَحْيِ وَأَنَا فِي خِيفٍ أَمْرًا قَوْمِي مَنَكُنَّ غَيْرَهَا » وقال أنس رضى الله عنه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> رحم الناس بالنساء والصبيان

- ( ١ ) - حديث جرى بينه وبين عائشة كلام - حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما - الحديث : الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة سند ضعيف
- ( ٢ ) - حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذى تزعم أنك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحق وقد عنعه
- ( ٣ ) - حديث كان يقول لعائشة انى لأعرف غضبك من رضاك - الحديث : متفق عليه في حديثها
- ( ٤ ) - حديث : أول حب وقع في الإسلام حب الى صلى الله عليه وسلم عائشة الشيخان من حديث عمرو بن العاص انه قال أى الناس أحب اليك يا رسول الله قال عائشة - الحديث : وأما كونه أول فرواء ابن الجوزى في الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كما في الحديث - الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة والافحجة النبي صلى الله عليه وسلم لحديعة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة
- ( ٥ ) - حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأبي زرع لأَمْ زَرْعٍ غَيْرِ أُنَى لَا أَطْلُقُكَ متفق عليه من حديث عائشة دون الاسنن . ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب
- ( ٦ ) - حديث لا تؤذوني في عائشة فإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَى الْوَحْيِ وَأَنَا فِي خِيفٍ أَمْرًا مَنَكُنَّ غَيْرَهَا البخارى من حديث عائشة
- ( ٧ ) - حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان مسلم بلقط ما رايت احدا كان أرحم بالرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم راد على بن عبد العزيز والبخارى والصبيان

الثالث: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة، والمزح والملاعبة. فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزح معهن، وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق، حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> كان يسابق عائشة في العدو، فسبقته يوما، وسبقها في بعض الأيام، فقال عليه السلام هذه بتلك. وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> من أفكك الناس مع نسائه. وقالت عائشة رضي الله عنها<sup>(٣)</sup> سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم، وهم يلعبون في يوم عاشوراء. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَتَحِبُّينَ أَنْ تَرَى لَعِبَهُنَّ» قالت قلت نعم. فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين، فوضع كفه على الباب، ومد يده، ووضعت ذقتي على يده وجعلوا يلعبون وأنظر. وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «حَسْبُكَ»، وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا. ثم قال «يَا عَائِشَةُ حَسْبُكَ». فقلت نعم. فأشار إليهم فانصرفوا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلَطُهُمْ بِأَهْلِهِ» وقال عليه السلام<sup>(٥)</sup> «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي» وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجالا. وقال لقمان رحمه الله: ينبغي للعافل أن يكون في أهله كالصبي، وإذا كان في القوم وجد رجلا

(١) حديث مساقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبقته ثم سبقها وقال هذه بتلك: أبو داود والنسائي من

الكبرى وابن ماجه. في حديث عائشة بسند صحيح

(٢) حديث كان من أفكك الناس مع نسائه: الحسن بن سفيان في مسنده من حديث اس دون قوله مع نسائه

ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط قتالا مع صبي وفي اسناده ابن لهيعة

(٣) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول

الله صلى الله عليه وسلم التحبين أن ترى لعبهن - الحديث: متفق عليه مع اختلاف دون

ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها اسكت وفي رواية للنسائي في الكبرى

قلت لا تعجل مرتين وفيه فقال يا حميراء وسنده صحيح

(٤) حديث: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال

رواه ثقات على شرط الشيخين

(٥) حديث: خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله

وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم



وفي تفسير الخبر المروي <sup>(١)</sup> : « إِنَّ اللَّهَ يَنْفُضُ الْجَمْطَرِيَّ الْجَوَاطِ » قيل هو الشديد على أهله ،  
التكبر في نفسه . وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى (عَلَّكَ) <sup>(٢)</sup> قيل العتل هو اللفظ اللسان  
الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر <sup>(٣)</sup> « هَلَا يَكْرَأُ تَلَا عِبْهَا وَتَلَا عِبْكَ » ووصفت اعراية  
زوجها وقدمات فقالت : والله لقد كان ضحوا كذا ذوالج ، سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد ، غير مسائل عما فقد  
الرابع : أن لا يتبسط في العناية وحسن الخلق والمواقفة باتباع هواها ، الى حد يفسد  
خلقها ، ويسقط بالكلية هيئته عندها . بل يراعى الاعتدال فيه ، فلا يدع الهيبة والانتباه  
مهما رأى منكراً ، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة . بل مهما رأى ما يخالف  
الشرع والمروءة تنمر وامتنع . قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى  
إلا كبه الله في النار . وقال عمر رضى الله عنه : خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة . وقد  
قيل شاوورهن وخالفوهن . وقد قال عليه السلام <sup>(٤)</sup> « تَمَسَّ عَيْدُ الزَّوْجَةِ » وإنما قال ذلك  
لأنه اذا أطاعها في هواها فهو عبدها . وقد تمس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه ، فقد  
عكس الامر ، وقلب القضية ، وأطاع الشيطان لما قال (وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيَغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ) <sup>(٥)</sup>  
إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا . وقد سعى الله الرجال قوامين على النساء ، وسعى  
الزوج سيدها ، فقال تعالى (وَأَلْفَيْكَ سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) <sup>(٦)</sup> فاذا انقلب السيد مسخرأ فقد  
بدل نعمة الله كفرأ

· ونفس المرأة على مثال نفسك ، ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا ، وان أرخيت  
مذارها فتراجذبتك ذراعا ، وان كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملككتها .

(١) حديث : ان الله ينفض الجَمْطَرِيَّ الجَوَاطِ أبو بكر بن لال في مكارم الاله من حديث أبي هريرة  
بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية ابن وهب الخزاعي بلفظ ألا أخبركم بأهل  
النار كل عتل جواظ مستكبر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجَمْطَرِيَّ

(٢) حديث : قال لجابر هَلَا يَكْرَأُ تَلَا عِبْهَا وَتَلَا عِبْكَ متفق عليه من حديثه وقد تقدم

(٣) حديث : تمس عید الزوجة لم أقف له على أصل والمعروف تمس عبد الديار وعبد درهم الحديث رواه  
البخاري من حديث أبي هريرة

(٤) إقلم : ٩٣ : (٢) النساء : ١١٩ : (٣) يوسف : ٢٥

قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاثة ان أكرمهم أهانوك ، وان أهنئهم أكرموك : المرأة ، والخادم ، والنبطي . أراد به أن محضت الاكرام ولم تمنح غلظك بليتك ، وفظاظتك برقتك وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج . وكانت المرأة تقول لابنتها ، اختبري زوجك قبل الاقدام والجرأة عليه ، أنزعى زج رحمه ، فان سكنت فقطعي اللحم على ترسه ، فان سكنت فكسري العظام بسيفه ، فان سكنت فاجعلي الاكاف على ظهره وامطيه . فأعاهو حمارك وعلى الجمل فبالعدل قامت السموات والارض . فكل ما جاوز حده انعكس على ضده .

فينبغي أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ، وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن ، فان كيدهن عظيم ، وشرهن فاش ، والغالب عليهن سوء الخلق ، وركاكة العقل ، ولا يمتد ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة . وقال عليه السلام <sup>(١)</sup> « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب » والاعصم يعني الأبيض البطن . وفي وصية لقمان لابنه : يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل الشيب ، واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير . وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> « استعذبوا من الفواقر الثلاث » وعد منهن المرأة السوء ، فانها المشيبة قبل الشيب . وفي لفظ آخر « ان دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خانتك » وقد قال عليه السلام في خيرات النساء <sup>(٣)</sup> « إنك كن صواحبات يوسف » يعني ان صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق الى الهوى . قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث : مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي

أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بمر الطهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر النصار فقال لا يدخل الجنة من النساء  
الامثل هذا الغراب في هذه الغربان واسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي

(٢) حديث : استعذبوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها المشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر

ان دخلت عليها لستك وان غبت عنها خانتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من  
حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث  
من الفواقر وذكر منها وامرأة ان حضرت أدتكم وإن غبت عنها خانتك وسنده خ .

(٣) حديث : انكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة

(١) (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) أى مالت وقال ذلك فى خير أزواجه ، وقال عليه السلام (٢) « لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمْ امْرَأَةٌ » وقد زبر عمر رضى الله عنه امرأته لما راجعته ، وقال ما أتت الالعبة فى جانب البيت ، ان كانت لنا اليك حاجة ، والاجلست كما أنت . فاذن فيهن شر ، وفيهن ضعف ، فالسياسة والخشونة علاج الشر ، والمطايبة والرحمة علاج الضعف . فالطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء ، فلينظر الرجل أولا الى أخلاقها بالتجربة ، ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها

الخامس : الاعتدال فى الغيرة . وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الامور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعمت وتجسس البواطن . فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « ان تتبع عَوْرَاتُ النِّسَاءِ » وفى لفظ آخر « أَنْ تُبْقَتَ النِّسَاءُ » ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال (٤) « قَبْلَ دُخُولِ الْمَدِينَةِ » لَا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ أَيَّامًا » نفالقه رجلان فسبقا ، فرأى كل واحد فى منزله ما يكره . وفى الخبر المشهور (٥) « الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ قَوَّمتَهُ كَسَرْتَهُ فِدَغُهُ تَسْتَمِيعُ بِهِ عَلَى عَوَجٍ » وهذا فى تهذيب أخلاقها وقال صلى الله عليه وسلم (٦) « إِنْ مِنْ الْغِيَرَةِ غِيَرَةٌ يَنْفُضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ غِيَرَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ » لان ذلك من سوء الظن الذى يهيناعنه ، فان بعض الظن اثم

(١) حديث : نزول قوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فى خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والرائان عائشة وحفصة

(٢) حديث لا يفلح قوم تملكهم امرأة البخارى من حديث أبى بكره نحوه

(٣) حديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتبع عورات النساء الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر نهى أن تتطلب عورات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى ان يطرق الرجل أهله ليلا

يخونهم أو يطلب عوراتهم واقتصر البخارى منه على ذكر النهى عن الطروق ليلا

(٤) حديث انه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا نفالقه رجلان فسيا الى منازلها فرأى كل واحد فى بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد

(٥) حديث : المرأة كالضلع ان أردت تقيمه كسرتة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٦) حديث : غيرة ينفضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك

(١) التحريم : ٤

وقال على رضى الله عنه : لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك

وأما الغيرة في محالها فلا بد منها ، وهي محمودة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْغَارُ وَالْمُؤْمِنُ يَنْفَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ » وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعْدٍ؟ أَنَا وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي » ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش مظهر وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ولذلك بعث المنذرين والمبشرين، ولا أحد أحب إليه المدح من الله . ولأجل ذلك وعد الجنة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي فِي الْجَنَّةِ قَصْرًا وَبِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقِيلَ لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ يَا عُمَرُ » فبكى عمر وقال أعليك أغار يارسول الله . وكان الحسن يقول : أتدعون نساءكم يزاحمن المروج في الاسواق ؟ قبح الله من لا يغار . وقال عليه السلام <sup>(٤)</sup> « إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يَبْغِضُهُ اللَّهُ ، وَمِنْ الْخِيَلَاءِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يَبْغِضُهُ اللَّهُ ، فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرَّيَّةِ ، وَالْغَيْرَةُ الَّتِي يَبْغِضُهَا اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيَّةٍ ، وَالْاخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدْمَةِ . وَالْاخْتِيَالُ الَّذِي يَبْغِضُهُ اللَّهُ الْاخْتِيَالُ فِي الْبَاطِلِ » وقال عليه السلام <sup>(٥)</sup> « إِنِّي لَمَيُورٌ وَمَا مِنْ أَمْرٍ إِلَّا يَنْفَارُ إِلَّا مَنْكُوسُ الْقَلْبِ »

(١) حديث : الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى ان يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه متفق عليه من

حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والمؤمن يغار

(٢) حديث : أتعجبون من غيرة سعد والله لأننا أغير منه والله أغير مني الحديث متفق عليه من حديث الغيرة بن شعبة

(٣) حديث : رأيت ليلة أسري بي في الجنة قصرًا وبناؤه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث

متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسري بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في

حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم في الجنة رأيتني الحديث

(٤) حديث : ان من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائي وابن حبان

من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة احاديث

(٥) حديث : اني لميور وما من امرى لا يغار الا منكوس القلب تقدم اوله واما آخره فرواه أبو عمر

التواتري في كتاب معاشره الاهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسل والظاهر انه عبد الله بن الحنفية

والطريق المغنى عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال ، وهي لا تخرج الى الاسواق . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> لا بنته فاطمة أى شئ خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل فغضبها اليه وقال (ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ) <sup>(٢)</sup> فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الكوى والثقب فى الحيطان ، لئلا تطلع النساء الى الرجال . ورأى معاذ امرأته تطلع فى السكوة ، فضربها . ورأى امرأته قد دفعت الى غلامه تفاحة قد أكلت منها ، فضربها . وقال عمر رضى الله عنه . أعرؤا النساء يلزمن الرجال . وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة وقال عودو النساء كم لا وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> للنساء فى حضور المسجد ، والصواب الآن المنع ، الا العجائز . بل استصوب ذلك فى زمان الصحابة . حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو علم النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> ما أحدثت النساء بعده لمتعهن من الخروج . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ » فقال بعض ولده ، بلى والله لمتعهن ، فغضب عليه ، وقال تسمعون أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى : وانما استجبراً على المخالفة لعلمه بتغير الزمان ، وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً من غير اظهار العذر . وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> قد أذن لمن فى الأعياد خاصة أن يخرجن ، ولكن لا يخرجن الا برضا أزواجهن . والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ، ولكن القعود أسلم . وينبغى أن لا تخرج الا لمهم فان الخروج للنظارات والامور التى ليست مهمة ، تقدح فى المروءة ، وربما تفضى الى الفساد فاذا خرجت قيلبغى أن تغض بصرها عن الرجال ، ولساننا قول ان وجه الرجل فى حقها عورة ،

(١) حديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بنته فاطمة أى شئ خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلاً الحديث البرار والدار فطنى فى الأفراد من حديث على بسند ضعيف

(٢) حديث : الاذن للنساء فى حضور المساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنتوا للنساء بالليل الى المساجد

(٣) حديث : قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمتعهن من الخروج متفق عليه قال البخارى لمتعهن من المساجد

(٤) حديث ابن عمر : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه

(٥) حديث : الاذن لمن فى الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية

(٦) آمل عمران : ٣٤

كوجه المرأة في حقه ، بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل ، فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط . فان لم تكن فتنة فلا ، اذ لم يزل الرجال على مر الزمان مكشوف الوجوه والنساء يخرجن منتقبات . ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمرُوا بالانتقاب أو منعن من الخروج إلا لضرورة

السادس : الاعتدال في النفقة . فلا ينبغي أن يقتصر عليهن في الاتفاق ، ولا ينبغي أن يسرف . بل يقتصد . قال تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا<sup>(١)</sup>) وقال تعالى (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ<sup>(٢)</sup>) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رِقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ » وقيل كان لعلي رضي الله عنه أربع نسوة ، فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحماً بدرهم . وقال الحسن رضي الله عنه : كانوا في الرجال مخاصيب ، وفي الاثاث والشياب مجاديب . وقال ابن سيرين : يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالودجة . وكأن الخلاوة وان لم تكن من المهمات ، ولكن تركها بالسكينة تقتير في العادة .

وينبغي أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام ، وما يفسدوا ترك . فهذا أقل درجات الخير . وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج . ولا ينبغي ان يستأثر عن أهله بما كوله طيب ، فلا يطعمهم منه . فان ذلك مما يوغر الصدور ويبدع من المماشرة بالمعروف فان كان من ماله على ذلك قليلاً كله بخفية ، بحيث لا يعرف أهله . ولا ينبغي أن يصفع عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه . واذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائده . فقد قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : بلغنا ان الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته في الاتفاق أن يطعمها من الحلال ، ولا يدخل مداخل السوء

(١) حديث : خيركم خيركم لأهله الترمذي من حديث عائشة وصححه وقد تقدم

(٢) حديث : دينار أنفقت في سبيل الله ودينار أنفقت في رقة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقت على أهلك أعظمها الدينار الذي أنفقت على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة

(٣) الاعراف : ٣١ (٢) الاسراء : ٢٩

لأجلها، فإن ذلك جناية عليها إلا مراعاة لها . وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح

السابع . أن تعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاختراز الواجب . ويعلم زوجته أحكام الصلاة ، وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى ، فانه أمر بان يقيها النار بقوله تعالى ( قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا<sup>(١)</sup> ) فعليه ان يلقيها اعتقاد أهل السنة ، ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استتمت اليها ، ويخوفها في الله ان تساهلت في أمر الدين ، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما يحتاج اليه

وعلم الاستحاضة يطول ، فاما الذي لابد من ارشاد النساء اليه في أمر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها ، فانها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر . واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة ، فعليها قضاء المغرب والعشاء ، وهذا أقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها ، فليس لها الخروج لسؤال العلماء ، وان قصر علم الرجل ، ولكن ناب عنها في السؤال فاخبرها بجواب المفتي ، فليس لها الخروج ، فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال ، بل عليها ذلك ، وبعض الرجل ينهاها ، ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها ، فليس لها أن تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الابرضاء ، ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة : ولم يعلمها الرجل ، خرج الرجل معها وشاركها في الاثم الثامن : اذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهن ، ولا يميل الى بعضهن ، فان خرج الى سفر وأراد استصحاب واحدة ، أقرع بينهن . كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> : فان ظلم امرأة بليتها ، قضى لها ، فان القضاء واجب عليه ، وعند ذلك يحتاج الى معرفة أحكام القسم ، وذلك يطول ذكره ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> « مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ فَقَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا دُونَ الْأُخْرَى ، وَفِي لَفْظٍ وَلَمْ يَتَّعِدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شَقِيهِ مَائِلٌ » وانما عليه العدل في العطاء والمبيت ، واما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار

(١) حديث : القرعة بين أزواجه اذا أراد سفره من عليه من حديث عائشة

(٢) حديث : من كان له امرأتان فمال الى احدهما دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم

القيامة وأحد شقيه مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن

حبان فقال مع احدهما وقد التزمى فلم يعدل بينهما

(١) التحريم : ٦

قال الله تعالى ( وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ )<sup>(١)</sup> أى لا تعدلوا في شهوة

القلب وميل النفس ، ويتبع ذلك التفاوت في الواقع

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> يعدل بينهن في العطاء والبيوتة في الليالي ،

ويقول « اللَّهُمَّ هَذَا جُهْدِي فَمَا أُمْلِكُ وَلَا طَاقَةٌ لِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أُمْلِكُ » . يعنى الحب :

وقد كانت عائشة رضى الله عنها<sup>(٣)</sup> أحب نسائه اليه ، وسائر نسائه يعرفن ذلك<sup>(٤)</sup> وكان

يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة ، فبيت عند كل واحدة منهن ويقول « أَيْنَ

أَنَا غَدًا » فقطنت لذلك امرأة منهن . فقالت انما يسأل عن يوم عائشة . فقلنا يا رسول الله

قد أذن لك أن تكون في بيت عائشة ، فإنه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة . فقال « وَقَدْ

رَضِيتُ بِذَلِكَ » فقلن نعم . قال « فَجَوِّلُونِي إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ »

ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبها ، ورضى الزوج بذلك ، ثبت الحق لها ، كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> يقسم بين نسائه ، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت ،

---

(١) حديث : كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا جهدي فيا أملك ولا طاقة لي فيا تملك ولا أملك : أصحاب السنن  
وان حبان من حديث عائشة نحوه

(٢) حديث كانت عائشة أحب نسائه اليه : متفق عليه من حديث عمرو بن العاص انه قال أى الناس أحب  
اليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم

(٣) حديث : كان يطاف به محمولا في مرضه كل يوم وليلة فبيت عند كل واحدة ويقول « أَيْنَ أَنَا غَدًا »  
الحديث ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم  
كان يحمل في ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفي مرسل آخر له لما نقل  
قال أين أنا غدا قالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد  
عائشة الحديث وللبخارى من حديث عائشة كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غدا  
أين أنا غدا يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه ان يكون حيث شاء وفي الصحيحين لما نقل  
استأذن أزواجه ان يعرض في بيتي فأذن له

(٤) حديث : كان يقسم بين نسائه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة الحديث  
ابن داود من حديث عائشة قالت سودة حين أسئت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يا رسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبراني فأراد ان يفارقها وهو عند البخارى بلفظ  
لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها بيوم سودة وللبهقي مرسل طلق سودة  
فقال اريد ان احشر في أزواجك الحديث

(١) النساء : ١٢٩



موهبت ليلتها لعائشة ، وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه . فتركها ، وكان لا يقسم لها ، ويقسم لعائشة ليلتين ، ولسائر أزواجه ليلة ليلة . ولكنه صلى الله عليه وسلم ، لحسن عدله وقوته ، كان إذا تناقت نفسه الى واحدة من النساء في غير نوبتها ، لجامعها طاف في يومه أو ليلته على سائر نسائه . فن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> طاف على نسائه في ليلة واحدة . وعن أنس ، أنه عليه السلام <sup>(٢)</sup> طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار

التاسع : في النشوز . ومهما وقع بينهما خصام ، ولم يلتئم أمرهما . فإن كان من جانبها جديماً ، أو من الرجل ، فلا تسلط الزوجة على زوجها ، ولا يقدر على اصلاحها ، فلا بد من حكيم ، أحدهما من أهله ، والآخر من أهلها ، لينظرا بينهما . ويصلحا أمرهما إن يريدان اصلاحاً يوفق الله بينهما . وقد بعث عمر رضى الله عنه حكا إلى زوجين ، فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة ، وقال ان الله تعالى يقول (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا<sup>(١)</sup>) فعاد الرجل وأحسن النية ، وتلطف بهما فأصلح بينهما

وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة ، فالرجال قوامون على النساء . فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهراً . وكذا إذا كانت تاركة للصلاة ، فله حملها على الصلاة قهراً . ولكن ينبغي ان يتدرج في تأديبها . وهو ان يقدم أولاً الوعظ والتحذير والتخويف ، فإن لم ينفع ولاها ظهره في المضجع ، أو انفرد عنها بالفراش ، وهجرها وهو في البيت معها ، من ليلة الى ثلاث ليال . فإن لم ينفع ذلك فيها ، ضربها ضرباً غير مبرح ، بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظماً ، ولا يدمى لها جسماً ، ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه ، وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث : عائشة طاف على نسائه في ليلة واحدة ، تمتنع عليه بالفظ كنت أطيع رسول الله صلى الله عليه

وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرماً ينضح طيباً

(٢) حديث : أنس أنه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار : ابن عدى في الكامل والبخارى كان يطوف على

نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة

(١) النساء : ٣٥

(١) ماحق المرأة على الرجل؟ قال « يُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمَ ، وَيَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى ، وَلَا يُقَبِّحُ الْوَجْهَ وَلَا يَضْرِبُ إِلَّا ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَلَا يَهْجُرُهَا إِلَّا فِي الْمَسِيَّتِ »

وله أن يغضب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين، إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر (٢) فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه، فقالت له التي هو في بيتها، لقد أقفأتك اذ ردت عليك هديتك. أي أذلتك واستصغرتك. فقال صلى الله عليه وسلم « أَنْتُنَّ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ أَنْ تُقِمْتِنِي » ثم غضب عليهن كلهن شهراً إلى أن عاد إليهن المأشر: في آداب الجماع. ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى، ويقرأ قل هو الله أحد أولاً، ويكبر ويهلل، ويقول بسم الله الملى العظيم، اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى. وقال عليه السلام (٣) « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ » وإذا قربت من الانزال، قل في نفسك ولا تحرك شفقتك (الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً) الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته

ثم ينحرف عن القبلة، ولا يستقبل القبلة بالوقاع أكراما للقبلة. ولينط نفسه وأهله بثوب. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) يغطي رأسه، ويغض صوته، ويقول للمرأة عليك بالسكينة. وفي الخبر (٥) « إِذَا جَاءَكَ أَحَدُكُمْ أَهْلُهُ فَلَا يَتَجَرَّدَانِ تَجَرَّدَ الْعَيْرَيْنِ » أي الحمارين

(١) حديث: قيل له ماحق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب إلا ضرباً غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت: أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية ابن حنيفة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت: أبو داود ولا تقبح الوجه ولا تضرب

(٢) حديث: هجره صلى الله عليه وسلم نساء شهرًا لما أرسل بهدية إلى زينب فردتها فقالت له التي في بيتها لقد أقفأتك الحديث ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير اسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أقسم ألا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهراً

(٣) حديث: لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان: الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

(٤) حديث كان يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة: الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف

(٥) حديث: إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين: ابن ماجه من حديث عتبة ابن عبد بنسند ضعيف

وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل ، قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا يَقَعَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَى امْرَأَتِهِ كَمَا تَقَعُ الْبَهِيمَةُ . وَلْيَسْكُنْ بَيْنَهُمَا رَسُولٌ ، فَيَلْزِمَ الرَّسُولُ ، يَأْخُذُ اللَّهُ بِالْقُبُلَةِ وَالْكَلَامِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « ثَلَاثٌ مِنَ الْعَجَزِ فِي الرَّجُلِ ، أَنْ يَلْقَى مَنْ يُحِبُّ مَعْرِفَتَهُ فَيُفَارِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ اسْمَهُ وَنَسَبَهُ ، وَالثَّانِي أَنْ يُسَكِّرَهُ أَحَدٌ فَيَرُدَّ عَلَيْهِ كَرَامَتَهُ وَالثَّالِثُ أَنْ يُقَارِبَ الرَّجُلُ جَارِيَتَهُ أَوْ زَوْجَتَهُ فَيُصِيبَهَا قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَهَا وَيُؤَسِّسَهَا وَيُضَاجِعَهَا فَيَقْضِي حَاجَتَهُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا مِنْهُ »

ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر : الأول ، والآخر ، والنصف . يقال أن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي . ويقال أن الشياطين يجامعون فيها . وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم

ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته ، تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « رَحِمَ اللَّهُ مَنْ غَسَلَ وَأَغْتَسَلَ » الحديث

ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله ، حتى تقضى هي أيضاً نهمتها . فإن انزلها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ، ثم القعود عنها إيذاء لها . والاختلاف في طبع الانزال يوجب التناظر مهما كان الزوج سابقاً إلى الانزال . والتوافق في وقت الانزال ألدعندها ، ليشغل الرجل بنفسه عنها ، فانها ربما تستحي . وينبغي أن يأتياها في كل أربع ليال مرة ، فهو أعدل إذ عدد النساء أربعة ، فجاء التأخير إلى هذا الحد . نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه ، وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء ، فذلك لمسر المطالبة والوفاء بها ولا يأتياها في الحيض ، ولا بعد انقضائه وقبل الفسل . فهو محرم بنص الكتاب . وقيل إن ذلك يورث الجذام في الولد ، وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ، ولا يأتياها في غير المأثي ،

(١) حديث : لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة بهن الحديث : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو مسكر

(٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أحمد بن حنبل وهو الحديث الذي قبله

(٣) حديث : رحم الله من غسل وأغسل تعمد في الباب الخامس من الصلاة

إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى ، والأذى في غير المأثي دائم ، فهو أشد تحرماً مما من اتیان الحائض . وقوله تعالى ( فَأَتُواخُرَاسَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ<sup>(١)</sup> ) أى أى وقت شئتم . وله أن يستمنى بيديها ، وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي ، سوى الوقاع ، وينبغي أن تنزدر المرأة بأزار من حقوها الى فوق الركبة في حال الحيض ، فهذا من الأدب . وله أن يؤاكل الحائض ويمحاطها في المضاجعة وغيرها ، وليس عليه اجتنابها

وان أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى ، فليغسل فرجه أولاً . وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يغسل

ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينام على غير طهارة ، فان أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة . قال ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> أينام أحدنا وهو جنب ؟ قال « نعم » إذا توضأ ، ولكن قد وردت فيه رخصة ، قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> ينام جنباً لم يغسل ماء ، ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجهه فراشه ، أو لينفضه . فانه لا يدري ما حدث عليه بعده

ولا ينبغي أن يخلق ، أو يقلم ، أو يستحد ، أو يخرج الدم ، أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب ، اذ ترد اليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شجرة تطالبه بجنابتها ومن الآداب أن لا يمزل ، بل لا يسرح إلا الى محل الحرث وهو الرحم<sup>(٤)</sup> « فامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة » هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان عزل ، فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته ، على أربع مذاهب : فمن مبيح مطلقاً بكل حال ، ومن محرم بكل حال ، ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها ، وكأن هذا القائل يحرم الايذاء

(١) حديث ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ : متفق عليه من حديثه أن عمر سأل لأن عبد الله هو النائل

(٢) حديثه عائشة كان ينام جنباً لم يغسل ماء : أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال يزيد بن هارون انه وهم ونقل البيهقي عن الحماط الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية

(٣) حديث : ما من نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة : متفق عليه من حديث أبي سعيد

(٤) البقرة : ٢٢٣

دون العزل ، ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرية

والصحيح عندنا أن ذلك مباح . وأما الكراهية فانها تطلق لنهى التحريم ، ونهى التنزيه ، ولترك الفضيلة ، فهو مكروه بالمعنى الثالث . أى فيه ترك فضيلة . كما يقال يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغاً لا يشتغل بذكر أو صلاة . ويكره للحاضر في مكة مقياً بها الإيحيى كل سنة : والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط . وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ، ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَجْمَعُ أَهْلَهُ فَيَكْتُبُ لَهُ بِجَمَاعِهِ أَجْرٌ وَلَدٌ ذَكَرَ قَاتِلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقُتِلَ » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له ولد مثل هذا الولد ، لكان له أجر القسب اليه ، مع أن الله تعالى خالقه وحبيه ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله ، وهو الوقاع ، وذلك عند الامناء في الرحم

وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه ، لأن اثبات النهى إنما يمكن بنص ، أو قياس على منصوص . ولا نص ، ولا أصل يقاس عليه ، بل ههنا أصل يقاس عليه ، وهو ترك النكاح أصلاً ، أو ترك الجماع بعد النكاح ، أو ترك الانزال بعد الإيلاج . فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب شيء . ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ، ولها أربعة أسباب : النكاح ثم الوقاع ، ثم الصبر إلى الانزال بعد الجماع ، ثم الوقوف لينصب المنى في الرحم . وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض ، فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث ، وكذا الثالث كالثاني ، والثاني كالأول . وليس هذا كالأجهاض والوآد ، لأن ذلك جنائية على موجود حاصل ، وله أيضاً مراتب ، وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم ، وتحتلظ بماء المرأة وتستمد لقبول الحياة . وافساد ذلك جنائية . فإن صارت مضغة وعلقه ، كانت الجنائية أخف وإن نفع فيه الروح واستوت الحلقة ، ازدادت الجنائية تفاحشاً . ومنتهى التفاحش في الجنائية بعد الانفصال حياً

وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المنى في الرحم لا من حيث الخروج من الأحليل ، لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده ، بل من الزوجين جميعاً . أما من مائه ومائها ، أو من مائه ودم الحيض . قال بعض أهل التشريح أن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض

---

(١) حديث أن الرجل يجمع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر يقاتل في سبيل الله : لم يجد له أصلاً

وان الدم منها كاللين من الرائب ، وان النطفة من الرجل شرط في خشور دم الحيض وانمقاده ، كالأنفحة للين ، إذ بها ينمقد الرائب . وكيفما كان فماء المرأة ركن في الانمقاد ، فيجري الماء ان يجري الايجاب والقبول في الوجود الحكيم في العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول ، لا يكون جائياً على العقد بالنقض والفسخ . ومهما اجتمع الايجاب والقبول ، كان الرجوع بعده رفعاً وفسخاً وقطعاً . وكذا أن النطفة في الفقار لا يتخاق منها الولد ، فكذا بعد الخروج من الاحليل مالم يتزوج بماء المرأة أو دمها ، فهذا هو القياس الجلي .  
فان قلت : فان لم يكن العزل مكروهاً من حيث انه دفع لوجود الولد ، فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه ، اذ لا يثبت عليه إلا نية فاسدة ، فيها شيء من شوائب الشرك الخفي ، فأقول :  
النيات الباعثة على العزل خمس :

الأولى : في السراري ، وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق ، وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ، ودفع أسبابه ليس بمنهي عنه .  
الثانية : استبقاء جمال المرأة ومنمها لدوام التمتع ، واستبقاء حياتها خوفاً من خطر الطلق وهذا أيضاً ليس منهيًا عنه .

الثالثة : الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء ، وهذا أيضاً غير منهي عنه . فان قلت الحرج معين على الدين . نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله ، حيث قال ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا <sup>(١)</sup> ) ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ، ولكن النظر الى المواقب وحفظ المال وادخاره ، مع كونه منافقاً للتوكل ، لا نقول انه منهي عنه .

الرابعة : الخوف من الأولاد الاناث ، لما يعتقد في تزويجهن من المعرة ، كما كانت من عادة العرب في قتلهم الاناث ، فهذه نية فاسدة ، لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أتم بها ، لا بترك النكاح والوطء . فكذا في العزل . والفساد في اعتقاد المرفة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد ، وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً من أن يملوها رجل ، فكانت تنسبه بالرجال . ولا ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح

(١) هود : ٦

الخامسة : أن تمتنع المرأة لتعززها ومباغتتها في النظافة، والتحرز من الطلوع والنفس والرضاع . وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمباغتتهن في استعمال المياه ، حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ، ولا يدخلن الخلاء إلا عراة . فهذه بدعة تخالف السنة ، فهي نية فاسدة . واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة ، فلم تأذن لها ، فيكون القصد هو القاسد دون منع الولادة

فان قلت : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ خَافَةَ الْعِيَالِ فَلَيْسَ مِنَّا ثَلَاثًا » قلت : فالعزل كترك النكاح ، وقوله ليس منا أى ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا ، وسنتنا فعل الافضل

فان قلت : فقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> في العزل « ذَلِكَ الْوَادُ الْخَفِيُّ وَقَرَأَ ( وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ <sup>(٣)</sup> ) وهذا في الصحيح ، قلنا وفي الصحيح أيضا أخبار صحيحة <sup>(٤)</sup> في الاباحة وقوله الواد الخفي ، كقوله الشرك الخفي ، وذلك يوجب كراهة لا تحريما

فان قلت : فقد قال ابن عباس ، العزل هو الواد الاصغر ، فان المنوع وجوده به هو المؤودة الصغرى ، قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه ، وهو قياس ضعيف ، ولذلك أنكره عليه علي رضي الله عنه لما سمعه ، وقال لا تكون مؤودة إلا بعد سبع ، أى بعد الاخرى سبعة أطوار ، وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة ، وهي قوله تعالى ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ <sup>(٥)</sup> ) الى قوله ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) أى نفخنا فيه الروح . ثم تلا قوله تعالى في الآية ( وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ) واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ، ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الفوص على الممانى ودرك العلوم

(١) حديث : من ترك النكاح خافه العيال فليس منا : تقدم في أول النكاح  
(٢) حديث : قال النبي صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الواد الخفي : مسلم من حديث جذامة بنت وهب  
(٣) أحاديث : اباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد انهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه ورواه النسائي من حديث أبي صرمة وله يخبين من حديث جابر كما نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم راد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا والنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل فقيل ان اليهود تزعم انها الوءودة الصغرى فقال كذبت يهود قال البيهقي رواية الاباحة أكثر وأحفظ

<sup>(٤)</sup> التفسير : ٨ <sup>(٥)</sup> المؤمنون : ١٢-١٣-١٤

كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر أنه <sup>(١)</sup> قال ، كننا نازل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل . وفي لفظ آخر كننا نازل ، فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ينهنا . وفيه أيضا عن جابر أنه قال ، إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل ، وأنا أطوف عليها ، وأكره أن تحمل . فقال عليه السلام « اعزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » فلبت الرجل ماشاء الله ثم أتاه فقال ، إن الجارية قد حملت . فقال « قَدْ قُلْتَ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » كل ذلك في الصحيحين الحادى عشر : في آداب الولادة وهي خمسة :-

الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر ، وحزنه بالأنثى . فانه لا يدرى الخير له في أيهما . فكم من صاحب ابن يتمنى أن يكون بنتا . بل السلامة منهن أكثر ، والثواب فيهن أجزل . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَنْ كَانَ لَهُ ابْنَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَغَدَّاهَا فَأَحْسَنَ غِدَّاهَا وَأَسْبَغَ عَلَيْهَا مِنَ الثُّعْبَةِ الَّتِي أَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَتْ لَهُ مِيمَنَةٌ وَمِيسَرَةٌ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ » وقال ابن عباس رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْرِكُ ابْنَتَيْنِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ إِلَّا أَدْخَلْتَاهُ الْجَنَّةَ » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « مَنْ كَانَتْ لَهُ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ

(١) حديث جابر المتفق عليه في الصحيحين كننا نازل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو

كما ذكر متفق عليه الا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم

(٢) حديث جابر أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية وهي خادمنا وساقيتنا في النخل

وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت - الحديث : ذكر المصنف أنه في

الصحيحين وليس كذلك وإنما انفرد به مسلم

(٣) حديث : من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغدأها فأحسن غدأها - الحديث : الطبراني في الكبير

والحرائط في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٤) حديث ابن عباس ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتهما الا أدخلته الجنة ابن ماجه

والحاكم وقال صحيح الاسناد

(٥) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين

الحرائط في مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من حال جاريته وقال حسن غريب



كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ « وَقَالَ أَنَسٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(١)</sup> » مَنْ خَرَجَ إِلَى سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ فَاشْتَرَى شَيْئًا فَحَمَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ فَخَصَّ بِهِ الْإِنَاثَ دُونَ الذَّكُورِ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ « وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٢)</sup> » مَنْ حَمَلَ طَرَفَةً مِنَ السُّوقِ إِلَى عِيَالِهِ فَكَأَنَّمَا حَمَلَ إِلَيْهِمْ صَدَقَةً حَتَّى يَضَعَهَا فِيهِمْ وَلْيَبْدَأْ بِالْإِنَاثِ قَبْلَ الذَّكُورِ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَّحَ أَثْنَى فَكَأَنَّمَا بَسَكَ مِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَنْ بَسَكَ مِنْ خَشْيَتِهِ حَرَّمَ اللَّهُ بَدَنَهُ عَلَى النَّارِ « وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> » مَنْ كَانَتْ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ أَخَوَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَاهِنٍ وَضَرَارِهِنَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ لِيَأْهُنَ « فَقَالَ رَجُلٌ وَثَقْنَانِ يَارَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ « وَثَقْنَانِ ، فَقَالَ رَجُلٌ أَوْ وَاحِدَةً ؟ فَقَالَ « وَوَاحِدَةً »

الأدب الثاني : أن يؤذن في أذن الولد ، روى رافع عن أبيه قال ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضى الله عنها . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> أنه قال « مَنْ وَلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى دَفَعْتُ عَنْهُ أُمَّ الصَّبْيَانِ » ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله ، ليكون ذلك أول حديثه . <sup>(٦)</sup> والختان في اليوم السابع ورد به خبر

(١) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً لحمله إلى بيته فخص به الإناث

دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه : الخرائطي بسند ضعيف

(٢) حديث أنس من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة : الخرائطي بسند ضعيف

جدا وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع

(٣) حديث أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن : الحديث الخرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الاستاد

(٤) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة : أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنهما قالوا الحسن مكبرا وضعفه ابن القطاني

(٥) حديث : من ولد له مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان : أبو يعلى

الموصلي وابن السني في اليوم واللييلة والبيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف

(٦) حديث : الختان في اليوم السابع : الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم علق عن الحسن والحسين وغضهما لبحة أيام واسأده ضعيف واختلف في أسأده

فقييل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جده

الأدب الثالث: أن تسميه اسماً حسناً فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> « إِذَا سَمَيْتُمْ فَمَبْدُوا وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ<sup>(٢)</sup> » أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ » وقال<sup>(٣)</sup> « سَمُّوا بِأَسْمَى وَلَا تُكْنُوا بِكُنْيَتِي » قال العلماء ، كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم اذ كان ينادى يا أبا القاسم . والآن فلا بأس . نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « لَا تَجْمَعُوا بَيْنَ اسْمِي وَكُنْيَتِي » وقيل ان هذا أيضاً كان في حياته . وتسمى رجل أبا عيسى ، فقال عليه السلام<sup>(٥)</sup> « إِنْ عِيسَى لَا أَبَ لَهُ » فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى . قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، بلغني ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه ، فيقول أنا أنت ضيعتني وتركنتي لا اسم لي . فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام أو جارية ؟ فقال عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما ، كحمزة وصمارة ، وطلحة ، وعتبة .

وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup> « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله . أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> اسم الماص بعبد الله . وكان اسم زينب برة فقال عليه السلام<sup>(٨)</sup> « تُزَكِّي نَفْسَهَا »

(١) حديث : اذا سميت فمبدوا : الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصححه اسناده

والبيهقي من حديث عائشة

(٢) حديث : أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن : مسلم من حديث ابن عمر

(٣) حديث : سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي : متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ سموا

(٤) حديث : لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي : أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي

وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي

(٥) حديث : ان عيسى لا أب له : أبو عمر التوفائي في كتاب معاشر الأهلين من حديث ابن عمر بسند

ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابنه تكفى أبا عيسى وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيه بأبي عيسى

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كناناً واسناده صحيح

(٦) حديث : انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم واسماء آبائكم فأحسنوا اسماءكم : أبو داود من حديث أبي

الدرداء قال النووي باسناد جيد وقال البيهقي انه مرسل

(٧) حديث : بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الماص بعبد الله : رواه البيهقي من حديث عبد الله ابن

الحارث بن جزء الزيدى بسند صحيح

(٨) حديث : قال صلى الله عليه وسلم لا ينسب وكان اسمها برة تزكى نفسها فسمها زكيا : متفق عليه من حديث أبي هريرة

فسمها زينب وكذلك ورد النهي في تسمية<sup>(١)</sup> أفلع ويسار ونافع وبركة لا يقال آم بركة فيقال لا .  
 الرابع : العقيقة عن الذكر بشاتين ، وعن الانثى بشاة . ولا بأس بالشاة ذكرًا كان أو  
 أنثى . وروى عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> أمر في الفلام أن  
 يعق بشاتين مكافئتين ، وفي الجارية بشاة . وروى<sup>(٣)</sup> أنه عقي عن الحسن بشاة . وهذا  
 رخصة في الاقتصاد على واحدة . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> « مع الفلام عقيقته فأهريقوا  
 عنه دمًا وأميطوا عنه الأذى »

ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبًا أو فضة . فقد ورد فيه خبر إسناده عليه السلام<sup>(٥)</sup>  
 أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين ، أن تحلق شعره ، وتتصدق بزنة شعره فضة .  
 قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم  
 الخامس : أن يحنكه بتمر أو حلاوة . وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما  
 قالت ،<sup>(٦)</sup> ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 فوضعت في حجره ، ثم دعا بتمر فمضغها ، ثم تغل في فيه . فكان أول شيء دخل جوفه  
 ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم حنكه بتمر ، ثم دعا له ، وبرك عليه ،  
 وكان أول مولود ولد في الاسلام ، ففرحوا به فرحًا شديدًا ، لأنهم قيل لهم إن اليهود قد  
 سحرتكم فلا يولد لكم .

- 
- (١) حديث : النهي في تسمية أفلع ويسار ونافع وبركة : مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان  
 بركة رباحا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينسئ أن يسمى يعلى وبركة الحديث  
 (٢) حديث : عائشة أمر في الفلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة : الترمذي وصححه  
 (٣) حديث : عقي عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده متصل ووصله الحاكم إلا  
 أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا  
 (٤) حديث : مع الفلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى : البخاري من حديث سلمان بن عامر الضبي  
 (٥) حديث : أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تحلق شعره . ويتصدق بزنة شعره فضة : الحاكم وصححه من  
 حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلقط حسن وقال ليس إسناده متصل ورواه أحمد  
 من حديث أبي رافع  
 (٦) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في  
 حجره ثم دعا بتمر فمضغها ثم تغل في فيه . الحديث متفق عليه

الثاني عشر : في الطلاق . ولعلم أنه مباح ، ولكنه أبغض المباحات الى الله تعالى ، وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل . ومهما طلقها فقد آذاها . ولا يباح إيذاء الغير الا بإحذية من جانبها ، أو بضرورة من جانبها . قال الله تعالى ( فَإِنْ أَطَقْتُمْ كُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ) أي لا تطلبوا حيلة للفراق . وإن كرهها أبوه فليطلقها . قال ابن عمر رضي الله عنهما (١) كان تحتي امرأة أحبها ، وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها . فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يَا ابْنَ عُمَرَ طَلَّقِ امْرَأَتَكَ » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ، ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر . ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهي جانية . وكذلك مهما كانت سيئة الخلق ، أو فاسدة الدين . قال ابن مسعود في قوله تعالى (وَلَا يَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ يُبَيِّنَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أريد به في العدة ، ولكنه تنبيه على المقصود

وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدي ببذل مال ، ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى ، فإن ذلك إجحاف بها وتحامل عليها ، وتجارة على البضع . قال تعالى (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فرد ما أخذته فادونه لائق بالفداء . فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آئمة . قال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ لَمْ تَرْمَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » وفي لفظ آخر « فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِمَا حَرَامٌ » وفي لفظ آخر أنه عليه السلام (٣) قال « الْمُخْتَلَعَاتُ هُنَّ الْمُتَأَفِّقَاتُ »

ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور

الاول : أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه ، فإن الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع

(١) حديث : ابن عمر كانت تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها - الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح

(٢) حديث : أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترمح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان .

(٣) حديث : المختلعات هن المتأفقات : النساء من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبي هريرة قلت رواه الطبراني من حديث عقة ابن عامر بسند ضعيف

فيه بدعي حرام ، وإن كان واقعاً ، لما فيه من تطويل العدة عليها . فإن فعل ذلك فليراجعها .  
 (١) طلق ابن عمر زوجته في الحيض ، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر « مره فليراجعها حتى  
 تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها » ، فلك العدة التي أمر الله أن يطلق  
 لها النساء . وأما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين ، لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط  
 الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة ، فلا يجمع بين الثلاث ، لأن الطلقة الواحدة بعد  
 العدة تفيد المقصود ، ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة . وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة  
 وإذا طلق ثلاثاً ربما ندم ، فيحتج إلى أن يتزوجها محل ، وإلى الصبر مدة . وعقد المحلل مهي  
 عنه . ويكون هو الساعي فيه . ثم يكون قلبه معلقاً بزوجة الغير وتطليقه ، أعنى زوجة المحلل  
 بعد أن زوج منه . ثم يورث ذلك تنفيراً من الزوجة . وكل ذلك ثمرة الجمع . وفي الواحدة  
 كفاية في المقصود من غير محذور . ولست أقول بالجمع حرام ، ولكنه مكروه بهذه المعاني  
 وأعنى بالكراهة تركه النظر لنفسه

الثالث : أن يتلف في التعال بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف ، وتطبيب قلبها  
 بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما ألجمها به من أذى الفراق . قال تعالى ( وَمَتَّعُوهُنَّ ) (١) وذلك  
 واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقاً  
 ومنكاحاً ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه ، وقال قل لهما اعتدا ،  
 وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم . ففعل . فلما رجع إليه ، قال ماذا فعلتا ؟  
 قال أما احدهما فنكست رأسها وتنكست ، وأما الأخرى فبككت واتعجت ، وسمعتها تقول  
 متاع قليل من حبيب مفارق . فأطرق الحسن وترحم لها ، وقال لو كنت مراجعاً امرأة بعد  
 ما فارقها لراجعتها

ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها . ولم  
 يكن له بالمدينة نظير . وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت ، لو لم أسر مسيرى  
 ذلك ، لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكراً . من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) حديث : طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها

الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر

(١) البقرة : ٢٣٦

مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . فدخل عليه الحسن في بيته ، فعظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه ، وقال ، ألا أرسلت الى فكنت أجيبك ؟ فقال الحاجة لنا : قال وما هي ؟ قال جئتك خاطبا ابتنتك . فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال ، والله ما على وجه الأرض أحد يعشى عليها أعز علي منك ، ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني ، يسوءني ما ساءها ، ويسرتني ما سرها وانت مطلق ، فأخاف ان تطلقها . وان فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك ، وأكره ان يتغير قلبي عليك ، فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت أن لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج . وقال بعض أهل بيته ، سمعته وهو يعشى ويقول ، ما أراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي . وكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه ، فكان يمتد منه على المنبر ويقول في خطبته : ان حسنا مطلقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال : والله يا أمير المؤمنين لننكحه ما شاء ، فان أحب أمسك ، وان شاء ترك . فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة \* لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء ، فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة . بل الأدب المخالفة ما أمكن ، فان ذلك أسر لقلبه ، وأوفق لباطن دائه . والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح . وقد وعد الله النفي في الفراق والنكاح جميعا فقال ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ) وقال سبحانه وتعالى ( وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ )

الرابع : ان لا يعشى سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح . فقد ورد <sup>(١)</sup> في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم . ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة ، فقبل له ما الذي يرييك فيها ؟ فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته . فلما طلقها قيل له لم طلقها ؟ فقال مالي ولا امرأة غيري ؟ فهذا بيان ما على الزوج

(١) حديث الوعيد في افشاء سر المرأة : مسلم من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعظم الأمانة عند الله يوم القامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم يفشي سرها

(١) النور: ٣٢ (٢) النساء : ١٣

## القسم الثاني

﴿ من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها ﴾

والقول الشافي فيه ، ان النكاح نوع رق . فهي رقيقة له . فعملها طاعة الزوج مطلقاً في كل ما يطلب منها في نفسها ، مما لا مصية فيه . وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ » <sup>(٢)</sup> وكان رجل قد خرج الى سفر ، وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى السفلى . وكان أبوها في الأسفل فرض ، فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنه في النزول الى أبيها . فقال صلى الله عليه وسلم « أَطِيعِي زَوْجَكَ » فمات . فاستأمرته ، فقال « أَطِيعِي زَوْجَكَ » فدفن أبوها . فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها .

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفِظَتْ قُرْبَجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، دَخَلَتْ جَنَّةَ رَبِّهَا » وأضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> النساء فقال « حَامِلَاتٌ وَالِدَاتٌ مُرْضِعَاتٌ رَحِمَاتٌ بِأَوْلَادِهِنَّ تَوَلَّيْنَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ دَخَلَ مُصَلِّيَاتُهُنَّ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٥)</sup> « أَطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ » فقلن لم يارسول الله ؟ قال « يَكْثُرُنَّ اللَّعْنَ وَيَكْفُرُنَّ الْعَشِيرَ » يعني الزوج المعاصر

(١) حديث أئمة امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة : الترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة

(٢) حديث : كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفلى وكان أبوها في السفلى

فرض : الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف الا أنه قال غفر لأبيها .

(٣) حديث : اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها : الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة

(٤) حديث : ذكر النساء فقال حاملات واليدات مرضعات : الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث

أبي امامة دون قوله مرضعات وهى عند الطبراني في الصغير

(٥) حديث اطلعت في النار فاذا أكثر أهلها النساء : الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

وفي خبر آخر <sup>(١)</sup> « أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا أَقْلُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ فَقُلْتُ أَيْنَ النِّسَاءُ؟ قَالَ تَشَعَّلْنَ الْأَحْمَرَانِ الذَّهَبَ وَالزُّعْفَرَانِ » يعني الحلى ومصبغات الثياب

وقالت عائشة رضي الله عنها أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> فقالت يا رسول الله، انى فتاة اخطب فأكره التزويج، فباحق الزوج على المرأة؟ قال « لَوْ كَانَ مِنْ فَرَقِهِ إِلَى قَدَمِهِ صَدِيدٌ فَلَمْ يَسْتَهُ مَا أَذْتُ شُكْرَهُ » قالت أفلا أتزوج؟ قال « بَلَى تَزَوَّجِي فَإِنَّهُ خَيْرٌ » قال ابن عباس أنت امرأة من خنعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> فقالت، انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فباحق الزوج؟ قال « إِنْ مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ إِذَا أَرَادَهَا فَرَأَوْهَا عَلَى نَفْسِهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرٍ لَا تَمْنَعُهُ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا تُعْطِيَ شَيْئًا مِنْ يَدَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ كَانَ الْوِزْرُ عَلَيْهَا وَالْأَجْرُ لَهُ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا تَصُومَ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنْ فَعَلَتْ بَاءَتْ بِمَعْصِيَةٍ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهَا، وَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ بِشَيْءٍ إِذْنَهُ لَعَنَتْهُمَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى يَدَيْهِ أَوْ تَتُوبَ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ

(١) حديث اطلعت في الجنة فاذا اقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلن الأحمران الذهب والزعفران أحمد بن

حديث أبي امامة بسند ضعيف وقال الحرير يدل الزعفران وسلم من حديث عزة الأشجعية ويدل النساء من الأحمرين الذهب والزعفران وسنده ضعيف

(٢) حديث عائشة أنت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله انى فتاة اخطب وانى أكره التزويج فباحق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصححه اسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بل فتزوجى فانه خير ولم أره من حديث عائشة

(٣) حديث ابن عمر أنت امرأة من خنعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فباحق الزوج الحديث البيهقي مقتصرًا على شطر الحديث ورواه بهامة من حديث ابن عمر وفيه ضعف

(٤) حديث: لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقها عليهما الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه ابو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي اوفى



لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِرَوْحِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا» وقال صلى الله عليه وسلم «<sup>(١)</sup> أَقْرَبُ مَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا إِذَا كَانَتْ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا وَإِنْ صَلَاتُهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهَا فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي صَحْنِ دَارِهَا وَصَلَاتُهَا فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا» والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام «<sup>(٢)</sup> الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» وقال أيضاً «<sup>(٣)</sup> لِلْمَرْأَةِ عَشْرُ عَوْرَاتٍ فَإِذَا تَزَوَّجَتْ سَتَرَ الْوُجُوحُ عَوْرَةَ وَاحِدَةً فَإِذَا مَاتَتْ سَتَرَ الْقَبْرُ الْعَشْرَ عَوْرَاتٍ»

فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة ، وأهمها أمران ، أحدهما الصيانة والستر . والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة ، والتعفف عن كسبه إذا كان حراما . وهكذا كانت عادة النساء في السلف . كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته أو ابنته : اياك وكسب الحرام ، فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وم رجل من السلف بالسفر ، ففكره جيرانه سفره ، فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة ؟ فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وماعرفته رزاقا ، ولى رب رزاق ، يذهب الاكل ويبقى الرزاق

وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن أبي الحواري ، فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالى هممة في النساء لشغلي بحالى ، فقالت انى لأشغل بحالى منك ، ومالى شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي ، فاردت ان تنفقه على اخوانك ، وأعرف بك الصالحين ، فيكون لى طريقا الى الله عز وجل . فقال حتى استأذن أستاذي ، فرجع الى أبي سليمان الداراني ، قال وكان ينهاني عن التزويج ، ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تنغير . فلما سمع كلامها قال تزوج بها ، فانها واية لله ، هذا كلام الصديقين . قال فتزوجتها ، فكان

(١) حديث: اقرب ما تكون المرأة من ربها اذا كانت في قعر بيتها فان صلاتها في محض دارها افضل من صلاتها في المسجد . الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه ابو داود مختصرا من حديثه دون ذكر محض الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تعلى في الدار خير لها من ان تعلى في المسجد واسناده حسن ولا بن حبان من حديث أم حميد نحوه

(٢) حديث: المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود

(٣) حديث: للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة . الحديث الحافظ ابو بكر محمد بن عمر الجعفي في تاريخ الطالبين من حديث علي بسند ضعيف والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وما هما قال الروح والقبر

في منزلنا كن من جص ، فغنى من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل ، فضلا  
عن غسل بالاشنآن . قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة ، فكانت تطعمني الطيبات ،  
وتطيينني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك . وكانت رابعة هذه تشبه في أهل  
الشام رابعة العدوية بالبصرة .

ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله ، بل تحفظه عليه . قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم <sup>(١)</sup> « لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تُطْعِمَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِلَّا الرُّطْبَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يُخَافُ  
فَسَادُهُ فَإِنْ أَطْعَمَتْ عَنْ رِضَائِهِ كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِهِ . وَإِنْ أَطْعَمَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ كَانَ لَهُ  
الْأَجْرُ وَعَلَيْهَا الْوِزْرُ »

ومن حتمها على الوالدين تمليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج . كما روى ان  
أسماء بنت خزيمة الفزارية قالت لا بنته عند الزوج : انك خرجت من العش الذي فيه درجت  
فصرت الى فراش لم تعرفه ، وقرين لن تألفيه . فكوني له ارضا يكن لك سماء ، وكوني له مهادا  
يكن لك عمادا ، وكوني له أمة يكن لك عبدا . لا تلحنى به فيقلاش ، ولا تباعدى عنه فينساك ،  
ان دنا منك فاقربى منه ، وان نأى فابعدى عنه ، واحفظى أنفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك  
الا طيبا ، ولا يسمع الا حسنا ، ولا ينظر الا جيلا  
وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستدبى مودتى \* ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب  
ولا تنقربى قرك الدف مرة \* فانك لاتدرين كيف المغيب  
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ■ ويأباك قلبى والقلوب تغلب  
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى \* اذا اجتماع لم يلبث الحب يذهب  
فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل ، أن تكون قاعدة فى قمر بيتها ، لازمة

(١) حديث لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بأذنه إلا الرطب من الطعام الحديث ابو داود الطيالسي والبيهقي  
من حديث ابن عمر فى حديث فيه ولا تعطى من بيته شيئا إلا بأذنه فان فعلت ذلك كان له  
الأجر وعليها الوزر ولأبى داود من حديث سعد قالت امرأة يا رسول الله انا كل على آباءنا  
وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه وصحح الدارقطني فى المعلى  
ان سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبى وقاص واختاره ابن القبطان وسلم من  
حديث عائشة اذا انفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما انفقت ولزوجها  
أجره بما كسب

لمنزلهما ، لا يكثر صعودها واطلاعها ، قليلة الكلام لجيرانها ، لا تدخل عليهم الا في حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلمها في غيبته ، وتطلب مسرته في جميع أمورها ، ولا تخونه في نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا باذنه ، فان خرجت باذنه فخفية في هيئة رثة ، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق ، محترزة من ان يسمع غريب صوتها ، أو يعرفها بشخصها ، لا تعرف الى صديق بعلمها في حاجتها ، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه ، همها صلاح شأنها ، وتدير بيتها ، مقبلة على صلاتها وصيامها . وإذا استأذن صديق بعلمها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفتهم ، ولم تعاوده في الكلام ، غيرة على نفسها وبعلمها ، وتكون قائمة من زوجها بما رزق الله ، وتقدم حقه على حق نفسها ، وحق سائر أقاربها ، متظففة في نفسها ، مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها ان شاء ، مشفقة على أولادها ، حافظة للستر عليهم ، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج . وقد قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفَاءُ الْخَلْدَيْنِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ ، امْرَأَةٌ آمَنَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَحَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى بَنَاتِهَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ مَاتُوا » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ آدَمِيَّ الْجَنَّةَ يَدْخُلُهَا قَبْلِي . غَيْرَ أَنِّي أَنْظَرُ عَنْ يَمِينِي فَلَإِذَا امْرَأَةٌ تُبَادِرُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَأَقُولُ مَا لِهَذِهِ تُبَادِرُنِي ؟ فَيَقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ امْرَأَةٌ كَانَتْ حَسَنَةً حَمِيلَةً وَكَانَ عِنْدَهَا يَتَامَى لَهَا فَصَبَرَتْ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَلَغَ أَمْرُهَا الَّذِي بَلَغَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ »

ومن آدابها أن لا تنفاخر على الزوج بجمالها ، ولا تزدري زوجها لقبحه . فقد روى ان الاصمعي قال ، دخلت البادية فاذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجها ، تحت رجل من أقبح الناس وجها . فقلت لها يا هذه ، أترضين لنفسك أن تصكوني تحت مثله ، فقالت يا هذا اسكت ، فقد أسأت في قولك . لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ، وأولعني أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبي . أفلا أرضى بما رضى الله لي أفاسكتني . وقال الاصمعي رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي محتضبة ، ويدها سبحة . فقلت ما أبعد هذا من هذا فقالت :

(١) حديث أنا وامرأة سفاء الخلدَيْنِ كهاتين - الحديث ابو داود من حديث أبي مالك الأشجعي سند ضعيف

(٢) حديث حرم الله على كل آدمي الجنة ان يدخل قبل غيري أني انظر عن يميني فإذا امرأة تبادرني الى

باب الجنة الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

والله منى جانب لا أضيعه \* والله منى والبطلالة جانب

فعلت انها امرأة صالحة لها زوج تزين له

ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والالتقياض في غيبة زوجها . والرجوع الى اللب والإبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها ، ولا ينبغي أن تؤذى زوجها بحال . روى عن معاذ ابن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْخَوَرِ الْعَيْنِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتِلُكَ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ ذَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا »

ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ، أن لا تحمد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ، وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة . قالت زينب بنت أبي سلمة . دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب ، قدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره ، فدهنت به جارية ثم مست بمارضيها ، ثم قالت : والله مالى بالطيب من حاجة ، غير أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> يقول « لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَحْدَّ عَلَى مَيِّتٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة ، وليس لها الانتقال الى أهلها ولا الخروج الا لضرورة .

ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها . فقد روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما أنها قالت : <sup>(٣)</sup> تزوجني الزبير . وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه ، فكنت أعلف فرسه وأكفبه . وئنته وأسوسه . وأدق النوى لناضحه وأعلفه ، وأستقي الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن . وكنت أنقل النوى على رأسي من

---

(١) حديث معاذ لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجها من الخور العين لا تؤذي . الحديث الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه

(٢) حديث أم حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه

(٣) حديث أسماء تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكنت أعلف فرسه . الحديث متفق عليه

فلقي فرسخ ، حتى أرسل إلى أبو بكر بجمارية ، فكفتى سياسة الفرس . فكأما أعتقني .  
ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً معه أصحابه ، والنوى على رأسي . فقال صلى  
الله عليه وسلم « اخ ليخ نأقنه وَيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ » فاستحييت أن أسير مع الرجال ،  
وذكرت الزبير وغيوته ، وكان أغبر الناس . فمرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد  
استحييت . فثمت الزبير ، فحكيت له ما جرى ، فقال والله لملك النوى على رأسك  
أشد على من ركوبك معه .



# كسر الشهوتين

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعالى به المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتزليل القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه ، المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه ، المتكفل بحفظ عبده في جميع موارد ومحاريبه ، المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه ، وهو الذي يئته ويحييه ، وإذا مرض فهو يشفيه ، وإذا ضعف فهو يقويه ، وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه ، وهو الذي يطعمه ويسقيه ، ويحفظه من الهلاك ويحميه ، ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ، ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به محاربي الشيطان الذي يناويه ، ويكسره شهوة النفس التي تماديه ، فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه ، هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهي ، ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكده دواعيه ، كل ذلك يمتحنه به ويبتليه ، فينظر كيف يؤثره على ما يهواه ويبتغيه ، وكيف يحفظ أوامر الله وينتهى عن نواهيه ، ويواظب على طاعته ويتزجر عن معاصيه . والصلاة على محمد عبده النبيه ، ورسوله الوجيه ، صلاة ترفقه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه ، وعلى الأبرار من عترته وأقربيه ، والأخبار من صحابته وتابعيه

أما بعد : فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن ، فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار ، إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة ، فغلبتهما شهواتهما حتى أكلتا منها فبدت لهما سوآتهما . والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ، ومنبت الأدوية والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج ، وشدة الشبق إلى المنكوحات . ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال ، اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعمومات . ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات ، وضروب المنافسات والمحاسدات . ثم يتولد بينهما

آفة الرياء ، وغائلة التماخر والتكابر والكبرياء . ثم يتداعى ذلك إلى الحقود والحدود ، والعداوة والبعضاء . ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البني والمنكر والفحشاء . وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة ، وما يتولد منها من بطر الشيع والامتلاء . ولو ذلل العبد نفسه بالجوع ، وضيق مجارى الشيطان ، لأذعنت لطاعة الله عز وجل ، ولم تسلك سبيل البطر والظنيان ، ولم ينجر به ذلك إلى الانهباك فى الدنيا ، وإلثار العاجلة على المقبي ، ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا

وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد ، وجب شرح غواظها وآفاتاها ، تحذيراً منها ، ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها ، والتنبيه على فضلها ، ترغيباً فيها . وكذلك شرح شهوة الفرج ، فإنها تابعة لها

ونحن نوضح ذلك بمون الله تعالى فى فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ، ثم فوائده ، ثم طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن ، بالتقليل من الطعام والتأخير ، ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته ، باختلاف أحوال الناس ، ثم بيان الرياضة فى ترك الشهوة ، ثم القول فى شهوة الفرج ، ثم بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله ، ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين

## بيان

### فضيلة الجوع وذم الشيع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَإِنَّ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ كَأَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ » وقال ابن عباس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « لَا يَدْخُلُ مَلَكَوتَ

( كتاب كسر الشهوتين )

( ١ ) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش : لم أجده أصلاً

( ٢ ) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه : لم أجده أيضاً



السَّامِ مَنْ مَلَأَ بَطْنَهُ» وقيل بإرسال الله، <sup>(١)</sup> «أى الناس أفضل؟ قال: «مَنْ قَلَّ مَطْعَمُهُ وَضَحِكُهُ وَرَضِيَ بِمَا يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ» وقال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «سَيِّدُ الْأَعْمَالِ الْجُوعُ وَذُلُّ النَّفْسِ لِباسُ الصَّوْفِ» وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> «الْبَسُوا وَكُلُوا وَاشْرَبُوا فِي أَنْصَافِ الْبَطُونِ فَإِنَّهُ جُزْءٌ مِنَ النَّبِوَّةِ»

وقال الحسن، قال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> «الْفِسْكَرُ نِصْفُ الْعِبَادَةِ وَقِلَّةُ الطَّعَامِ هِيَ الْعِبَادَةُ» وقال الحسن أيضا، <sup>(٥)</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَفْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَطْوَلُكُمْ جُوعًا وَتَفَكَّرًا فِي اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَأَبْغَضُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزًّا وَجَلًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّ نَوْمٍ أَكُولٍ شَرُوبٍ»

وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> كان يجوع من غير عوز، أى مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٧)</sup> «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْأِي الْمَلَائِكَةَ بِمَنْ قَلَّ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى انْظُرُوا إِلَى عَبْدِى أَتَلَذُّهُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الدُّنْيَا فَهَبَرَوْتَرَكَهُمَا أَشْهَدُوا بِأَمَلٍ سَكَنِي مَا مِنْ أُمَّةٍ يَدْعُهَا إِلَّا أْبَدْنَاهُ بِهَا دَرَجَاتٍ فِي الْجَنَّةِ» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٨)</sup> «لَا تَمَيِّتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ» وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٩)</sup> «مَمْلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ حَسْبُ

(١) حديث أى الناس أفضل قال من قل طعمه وضحه ورضى بما يستر عورته : بأى الكلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث

(٢) حديث سيد الأعمال الجوع وذلل النفس لباس الصوف

(٣) حديث أبى سعيد الخدري البسوا واشربوا وكلوا في أنصاف البطون

(٤) حديث الفسكرة نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة

(٥) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعا وتفكرا - الحديث : لم أجده في الأحاديث المتقدمة أصلا

(٦) حديث كان يجوع من غير عوز أى مختارا لذلك : البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نبيع لشيعنا وأكن عمدا صلى الله عليه وسلم كان يؤثر على نفسه وأسناده معضل

(٧) حديث إن الله يباهي للملائكة بمن قل طعمه في الدنيا - الحديث : ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الصيام

(٨) حديث لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب - الحديث : لم أقف له على أصل

(٩) حديث مملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه - الحديث : ت من حديث التقديم وقد تقدم

ابن آدم كَفَيَاتُ يُمْمِنَ صَلْبُهُ وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَعْلًا فَكُلْتُ لِطَعَامِهِ وَكُلْتُ لِشَرَابِهِ وَكُلْتُ لِنَفْسِهِ ،

وفي حديث أسامة بن زيد ، وحديث أبي هريرة (١) الطويل ، ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه : « إِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ طَالَ جُوعُهُ وَعَطَشُهُ وَحُزْنُهُ فِي الدُّنْيَا الْأَخْفِيَاءُ الْأَتْقِيَاءُ الَّذِينَ إِنْ شَهِدُوا كَمْ يُعْرِفُوا وَإِنْ غَابُوا كَمْ يُفْتَقَدُوا تَعْرِفُهُمْ بِقَاعِ الْأَرْضِ وَتَحْفُ بِهِمْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ تَعِمُّ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَعِمُّوا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْتَرَشَ النَّاسُ الْقُرُشَ الْوَبِيرَةَ وَافْتَرَشُوا الْجَبَابَةَ وَالرُّكْبَ ضَيَّعَ النَّاسُ فِعْلَ النَّبِيِّينَ وَأَخْلَقَهُمْ وَحَفَظُوا هَامَهُمْ تَبَسَّكَ الْأَرْضُ إِذَا قَمَدَتْهُمْ وَاسْتَخْطُ الْجَبَّارُ عَلَى كُلِّ بَلَدَةٍ كَيْسَ فِيهِمْ أَمِنْهُمْ أَحَدٌ . كَمْ يَتَكَلَّبُوا عَلَى الدُّنْيَا تَكَاكُلُ الْبِكَلَابِ عَلَى الْجَيْفِ أَكَلُوا الْمَلَقَ وَلَبَسُوا الْخَرْقَ شَعْنًا غَيْرَ آيَرَاهُمْ النَّاسُ فَيُظُنُّونَ أَنَّ بِهِمْ دَاءً وَبِهِمْ دَاءٌ وَيَقَالُ قَدْ خُوِلُوا فَذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ وَمَا ذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ وَلَكِنْ نَظَرُوا الْقَوْمَ قَالُوا بِهِمْ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ الدُّنْيَا فَبِهِمْ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا يَعْشُونَ بِلا عُقُولٍ عَقِلُوا حِينَ ذَهَبَتْ عُقُولُ النَّاسِ لَهُمْ الشَّرَفُ فِي الْآخِرَةِ يَا أُسَامَةَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي بَلَدَةٍ فَاعْلَمْ أَنَّكُمْ أَمَانٌ لِأَهْلِ تِلْكَ الْبَلَدَةِ وَلَا يَمْدُبُ اللَّهُ قَوْمًا هُمْ فِيهِمْ الْأَرْضُ بِهِمْ فَرَحَةٌ وَالْجَبَّارُ عَنْهُمْ رَاضٍ اتَّخَذَ لِنَفْسِكَ إِخْوَانًا عَسَى أَنْ تَنْجُو بِهِمْ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَأْتِيَكَ أَلْمُوتٌ وَبَطْنُكَ جَائِعٌ وَكَيْدُكَ ظَلَمَانٌ فَأَقْمَلْ فَإِنَّكَ تُدْرِكُ بِذَلِكَ شَرَفَ الْمَنَازِلِ وَتَحُلُّ مَعَ النَّبِيِّينَ وَتَفْرَحُ بِقُدُومِ رُوحِكَ الْمَلَائِكَةُ وَيُصَلِّيَ عَلَيْكَ الْجَبَّارُ »

روى الحسن عن أبي هريرة ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (٢) « الْبُسُوا الصُّوفَ وَشَمِّرُوا وَكُلُوا فِي أَنْصَافِ الْبُطُونِ تَدْخُلُوا فِي مَلَكَوتِ السَّمَاءِ » وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين ، أجيئوا أكبادكم ، وأعروا أجسادكم ، لعل قلوبكم ترى الله عز وجل .

( ١ ) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه - الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه : رواه ابن الجوزي في موضوعات وفيه حباب بن عبد الله بن جبلة أحد السكنايين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي أسامة من هذا الوجه

( ٢ ) حديث الحسن عن أبي هريرة البُسُوا الصُّوفَ وَشَمِّرُوا وَكُلُوا فِي أَنْصَافِ الْبُطُونِ تَدْخُلُوا فِي مَلَكَوتِ السَّمَاءِ : أبو منصور اللباني في مسند الفردوس بسند ضعيف

وروي ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، رواه طاوس <sup>(١)</sup> وقيل مكتوب في التوراة ، إن الله يفيض الخبز السمين ، لأن السمين يدل على الغفلة وكثرة الأكل ، وذلك قبيح . خصوصا بالخبز . ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه إن الله تعالى يفيض القاري ، السمين . وفي خبر مرسل <sup>(٢)</sup> « إِنَّ الشَّيْطَانَ آيَجِرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ تَجْرِي الدَّمُ فَضَيَّقُوا تَحَارِيَهُ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ » وفي الخبر <sup>(٣)</sup> « إِنَّ الْأَكْلَانَ عَلَى الشَّيْخِ يُورِثُ الْبَرَصَ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَالْمُنَافِقُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ » أي يأكل سبعة أضغاف ما يأكل المؤمن ، أو تكون شهوته سبعة أضغاف شهوته . وذكر المصنف كناية عن الشهوة ، لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المصنف . وليس المصنف زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن وروي الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت <sup>(٥)</sup> سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أَدْعُوا قَرَعَ بَابِ الْجَنَّةِ يُفْتَحُ لَكُمْ » فقلت كيف نديم قرع باب الجنة؟ قال « بِالْجُوعِ وَالظَّمَا » . وروي <sup>(٦)</sup> أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له « أَقْصِرْ مِنْ جَشَأِكَ فَإِنَّ أَطْوَلَ النَّاسِ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا » وكانت عائشة رضي الله عنها ، تقول <sup>(٧)</sup> إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعًا وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع ، فأمسح بطنه يدي ، وأقول نفسي لك الفداء

- 
- ( ١ ) حديث طاوس مرسلًا أجيحوا أكبادكم - الحديث : لم أجده أيضا  
( ٢ ) حديث إن الشيطان ليحجرى من ابن آدم مجرى الدم - الحديث : تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر الصنف هما أنه مرسل والمرسل رواه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الريادة أيضا  
( ٣ ) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص : لم أجده أصلا  
( ٤ ) حديث المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء : متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة  
( ٥ ) حديث الحسن عن عائشة أدعوا قرع باب الجنة - الحديث : لم أجده أيضا  
( ٦ ) حديث إن جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعًا في الدنيا : البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عند تاج الدين وهو من حديث ابن عمر تجشأ رجل - الحديث : لم يذكر أبا جحيفة  
( ٧ ) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعًا فطوى بأكبتي رحمة له ، أرى به من الجوع - الحديث : لم أجده أيضا

لو تباغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويعنك من الجوع ؟ فيقول « يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدّموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل أوابهم فأجِدُنِي أَسْتَجِي إن تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي أَنْ يَقْصُرَ فِي غَدَاؤِهِمْ فَالْصَّبْرُ أَيَّامًا بِسِيرَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَنْقُصَ حَظِّي غَدًا فِي الْآخِرَةِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْأُخُوقِ بِأَصْحَابِي وَإِخْوَانِي » قالت عائشة: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة ، حتى قبضه الله إليه .

وعن أنس قال ، <sup>(١)</sup> جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « مَا هَذِهِ الْكِسْرَةُ ؟ » قالت قرص خبزته ، ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَمَا إِنَّهُ أَوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ فَمَ أَيْيَكِ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ » وقال أبو هريرة <sup>(٢)</sup> ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعا من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « إِنَّ أَهْلَ الْجُوعِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الشَّيْعِ فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ أَبْتَعْزَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ انْتَشَمُونَ الْمَلَأَى وَمَا تَرَكَ غِبْدًا أَكَلَةً يَشْتَبِيهَا إِلَّا كَانَتْ لَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ »

وأما الآثار ، فقد قال عمر رضي الله عنه ، إياكم والبطنة لأنها ثقل في الحياة ، نزن في الممات . وقال شقيق البلخي ، العبادة حرفة ، حانوتها الخلو ، وآلتها الجماعة . وقال لقمان لابنه ، يا بني ، إذا امتلأت المعدة ، قامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقمدت الأعضاء عن العبادة

وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه ، أي شيء تخافين ؟ أتخافين أن تجوعى ؟ لا تخافى ذلك ؟ أنت أهون على الله من ذلك ، إنما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

( ١ ) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم - الحديث : الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف

( ٢ ) حديث أبي هريرة ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم

( ٣ ) حديث إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشيع في الآخرة : طب وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف

وكان كهس يقول، الهى أجمتنى وأعربتنى ، وفى ظلم الالبالى بلا مصباح أجلستنى ، فبأى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى ! وكان فتح الموصلى إذا اشتد مرضه وجوعه يقول ، الهى ابتليتنى بالمرض والجوع ، وكذلك تفعل بأوليائك ، فبأى عمل أودى شكر ما أنعمت به عليّ ؟ وقال مالك ابن دينار ، قلت لمحمد بن واسع ، يا أبا عبد الله ، طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس . فقال لى ، يا أبا يحيى ، طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض

وكان الفضيل بن عياض يقول ، الهى أجمتنى وأجمعت عيالى ، وتركتنى فى ظلم الالبالى بلا مصباح ، وإنما تفعل ذلك بأوليائك ، فبأى منزلة نلت هذا منك ؟ وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة ، وجوع الثائبين تجربة ، وجوع المجتهدين كرامة ، وجوع الصابرين سياسة ، وجوع الزاهدين حكمة

وفى التوراة ، اتق الله ، وإذا شبعتم فاذكر الجوع . وقال أبو سليمان ، لأن أترك لقمة من عشاءى ، أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح . وقال أيضا ، الجوع عند الله فى خزائنه ، لا يملطيه إلا من أحبه

وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى نيفا وعشرين يوما لا يأكل . وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم . وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه ، حتى قال لا يوافق القيامة عمل ير أفضل من ترك فضول الطعام ، إقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فى أكله . وقال لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا . وقال لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل . وقال وضمت الحكمة والعلم فى الجوع ووضعت المعصية والجهل فى الشبع . وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى فى ترك الحلال . وقد جاء فى الحديث <sup>(١)</sup> ثلث للطعام ، فمن زاد عليه فإنما يأكل من حسناته . وسئل عن الزيادة فقال ، لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ، ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليكتين . فإذا كان ذلك وجد الزيادة . وقال : ما صار الأبدال أبدا إلا بإخخاص البطون والسهر والصمت والخلوة . وقال : رأس كل برزخ من السماء إلى الأرض الجوع . ورأس كل فجوز بينهما الشبع . وقال : من جوع نفسه إنقطعت عنه الوسوس . وقال : إقبال الله عز وجل

( ١ ) حديث : ثلث للطعام : تقدم

على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله . وقال : اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسر والجهد . وقال : ماصر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشيع من الطعام .

وسئل حكيم ، بأي قيد أ قيد نفسي ؟ قال قيدها بالجوع والمطش ، وذللها بإخمال الذكر وترك المز ، وصفرها بوضه تحت أرجل أبناء الآخرة ، وأكسرها بترك زيّ القراء عن ظاهرها . وانج من آفتها بدوام سوء الظن بها . وأصحبها بخلاف هواها . وكان عبد الواحد ابن زيد يقسم بالله تعالى ، أن الله تعالى ماصاف أحدًا إلا بالجوع ، ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ، ولا تولام الله تعالى إلا بالجوع

وقال أبو طالب المسكي ، مثل البطن مثل المزهر : وهو العود المجوف ذو الأوتار ، إنما حسن صوته لخفته ورقته ، ولأنه أجوف غير ممتلئ . وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلوة ، وأدوم للقيام ، وأقل للنم . وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ، ثلاثة يحبه الله تعالى رجل قليل النوم ، قليل الأكل ، قليل الراحة .

وروي أن عيسى عليه السلام ، مكث يناجي ربه ستين صباحا لم يأكل ، فخطر بباله الخبز ، فانتقطع عن المناجاة ، فإذا رغيف موضوع بين يديه . فحس يسكي على فقد المناجاة وإذا شيخ قد أظله ، فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ، ادع الله تعالى لي ، فإني كنت في حالة . فخطر ببال الخبز ، فانتقطعت عني . فقال الشيخ ، اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببال من عرفتك فلا تنفر لي . بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكير وخاطر وروي أن موسى عليه السلام ، لما قربه الله عن وجل نجيا ، كان قد ترك الأكل أوبعين يوما ، ثلاثين ثم عشرا ، على ماورد به القرآن ، لأنه أمسك بغير تبليت يوما ، فزيد عشرة لأجل ذلك

## بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَمَلِ فَإِنَّ الْأَجْرَ فِي ذَلِكَ » ولعلك تقول ، هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو ؟ وما سببه ؟ وليس فيه إلا إيلام المعدة ، ومقاساة الأذى . فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان ، من ضربه لنفسه ، وقطعه لآدمه ، وتناوله الأشياء المسكروحة ، وما يجري مجراه . فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به ، وظن أن منفعة السكرامة الدواء ومرارته ، فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق ، وهو غلط . بل نفعه في خاصية في الدواء ، وليس لكونه مرا . وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء . فكذا لا يتف على علة نفع الجوع إلا سمسرة العلماء . ومن جوع نفسه مصداقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع ، وانتفع به ، وإن لم يعرف علة المنفعة . كما أن من شرب الدواء انتفع به ، وإن لم يعلم وجه كونه نافعا . ولكننا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) <sup>(٢)</sup> فنقول في الجوع عشر فوائد

الفائدة الأولى : صفاء القلب ، وإيقاد القريحة ، وإنفاذ البصيرة . فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ، ويسكن البخار في الدماغ ، شبه السكر ، حتى يحتوى على معادن الفكر ، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار ، وعن سرعة الإدراك . بل الصبي إذا أكل أكثر الأكل بطل حفظه . وفسد ذهنه ، وصار بطيئ الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني ، عليك بالجوع ، فإنه مذلة للنفس ، ورقة للقلب ، وهو يورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « أَخْيُوا قُلُوبَكُمْ بِقِلَّةِ الصَّحْكِ وَقِلَّةِ الشَّبَعِ وَطَهَرُوهَا بِالْجُوعِ تَصْفَوْ وَتَرَقَّى » ويقال ، مثل الجوع مثل الرعد ، ومثل القاعة مثل السحاب ، والحكمة

(١) حديث جاهدوا أنفسكم : لم يخرجه العراقي

(٢) حديث أحبوا قلوبكم بقلة الضحك وقللة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى : لم أجده أصلا

(٣) المجادلة : ١١

كالمطر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه » .  
وقال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « من شبع ونام قسا قلبه » ثم قال  
« لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع » . وقال الشبلي ، ما جمعت لله يوما إلا رأيت في  
قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والمبرة مارأيت قط

وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة ، والاستبصار  
بحقائق الحق ، والشبع يمنع منه ، والجوع يفتح بابه . والمعرفة باب من أبواب الجنة . فبالجوع  
أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة . ولهذا قال لقمان لابنه ، يا بني ، إذا امتلأت المدة  
نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال أبو زيد البسطامي  
الجوع سحاب ، فإذا جاع العبد أطر القلب الحكمة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « نور  
الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقربة إلى الله عز وجل حب  
النساء كين والدنو منهم لا تشبهوا فتطفوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خيفة  
من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح » .

الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المتابعة ، والتأثر بالذكر  
فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ، ولكن القلب لا يشذبه ولا يتأثر ،  
حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب . وقد يرق في بعض الأحوال ، فيعظم تأثره  
بالذكر ، وتلذذه بالمناجاة . وخلق المدة هو السبب الأظهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني  
أحلى ما تكون إلى العبادة إذا التصق ظهري ببطني . وقال الجنيد ، يحمل أحدهم بينه وبين  
صدره نخلة من الطعام ، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة . وقال أبو سليمان ، إذا جاع القلب  
وعطش ، ضبا ورق . وإذا شبع عوى وغلظ . فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة ، أمروراء تيسير  
الفكر ، واقتناص المعرفة ، فهي فائدة ثانية

( ١ ) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه : كذلك لم أجده أصلا

( ٢ ) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع هـ من حديث أبي هريرة  
أسكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف

( ٣ ) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع - الحديث : ذكره أبو منصور الديلمي  
في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه أنه مسند وهي علامة ما رواه بإسناده



الفائدة الثالثة : الانكسار والذل ، وزوال البطر والفرح والأثر ، الذى هو مبدأ الطغيان والنفلة عن الله تعالى . فلا تنكسر النفس ولا تذلل بشيء كما تذلل بالجوع . فمنده تسكن لربها ، وتخشع له ، وتقف على عجزها وذلها ، إذ ضعفتمتها ، وضاعت حيلتها ، بلقيمة طعام فاتها ، وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها . وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه ، لا يرى عزة مولاه ولا قهره . وإنما سعادته فى أن يكون دائماً مشاهداً نفسه بعين الذل والمجز ، ومولاه بعين العز والقدرة والقهر . فليكن دائماً جائعاً ، مضطراً إلى مولاه ، مشاهداً للاضطراب بالدوق . ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> قال : « لَا بَلَّ أَجُوعٌ يَوْمًا وَأَشْبَعٌ يَوْمًا فَإِذَا جُمْتُ صَبَرْتُ وَتَضَرَعْتُ وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُ » أو كما قال

قالبطن والفرج باب من أبواب النار ، وأصله الشبع . والذل والانكسار باب من أبواب الجنة ، وأصله الجوع . ومن أغلق باباً من أبواب النار ، فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان ، كالشرق والمغرب ، فالتقرب من أحدهما بعد من الآخر

الفائدة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ، ولا ينسى أهل البلاء . فإن الشبعان ينسى الجائع ، وينسى الجوع والمبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة ، فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة ، ومن جوعه جوع أهل النار ، حتى أنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والزقوم ، ويستقون النساق والمهل . فلا ينبغي أن ينسى عن المبد عذاب الآخرة وآلامها ، فإنه هو الذى يهيج الخوف . فمن لم يكن فى ذلة ، ولا علة ، ولا فلة ، ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ، ولم يمتثل فى نفسه ، ولم يقلب على قلبه . فينبى أن يكون المبد فى مقاساة بلاء ، أو مشاهدة بلاء . وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع . فإن فيه فوائد عدة ، سوى تذكر عذاب الآخرة . وهذا أحد الأسباب التى اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل . ولذلك قيل ليوסף عليه السلام ، لم تجوع وفى يدك خزائن الأرض ؟ فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع . فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع .

( ١ ) حديث أجوع يوماً وأشبع يوماً - الحديث : نهدم وهو عبدت

فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام ، والشفقة على خلق الله عز وجل . والشبهات في غفلة عن ألم الجائع .

الفائدة الخامسة : وهي من أكبر الفوائد ، كسر شهوات المعاصي كلها ، والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء . فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى . ومادة القوى والشهوات لا محالة الأظمة . فتقليها يضعف كل شهوة وقوة . وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه ، والشقاوة في أن تملكه نفسه . وكما أنك لا تملك الدابة الجوح إلا بضعف الجوع ، فإذا شبعت قويت وشردت وجهت ، فكذلك النفس . كما قيل لبعضهم ، ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقدانها ؟ فقال لأنه سريع المرح ، فاحش الأشر ، فأخاف أن يسمح بي فيورطني ، فلأن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على الفواحش وقال ذو النون : ما شبعتم قط إلا عصيت أو همت بمصيبة . وقالت عائشة رضي الله عنها : أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع . إن القوم لما شبعتم بطونهم ، جهت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا .

وهذه ليست فائدة واحدة : بل هي خزائن الفوائد . ولذلك قيل ، الجوع خزانة من خزائن الله تعالى . وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام . فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان ، كالنية والفحش ، والكذب والتمية وغيرها ، فيمنعه الجوع من كل ذلك . وإذا شبع . افتقر إلى فاكهة فيتفكك لا محالة بأعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم

وأما شهوة الفرج ، فلا تحن غائلها . والجوع يكفي شرها . وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه . وإن منعه التقوى فلا يملك ميمته . فالعين تزني ، كما أن الفرج يزني . فإن ملك عينه بغض الطرف ، فلا يملك فكره . فيخطر له من الأفكار الرديئة ، وحديث النفس بأسباب الشهوة ، وما يتشوش به مناجاته . وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة

وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا . وإلا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم ، كل مريد صبر على السياسة ، فصبر على الخبز البحت سنة ، لا يخالط به شيئا من الشهوات ، ويأكل في نصف بطنه ، رفع الله عنه مؤنة النساء

الفائدة السادسة : دفع النوم ، ودوام السهر . فإن من شبع شرب كثيرا ، ومن أكثر شربه أكثر نومه . ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام ، معاشر المريدين لاتأكلوا كثيرا ، فتنشربوا كثيرا ، فترقدوا كثيرا ، فتخسروا كثيرا . وأجمع رأي سبعة صديقا ، على أن كثرة النوم من كثرة الشرب . وفي كثرة النوم ضياع العمر ، وفوت التهجد ، وبلاذة الطبع ، وقساوة القلب ، والعمر أنقش الجواهر ، وهو رأس مال العبد فيه يتعبر . والنوم موت ، فتكثيره ينقص العمر . ثم فضيلة التهجد لا تخفى . وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم ، فإن تهجد لم يجد حلالة العبادة . ثم للمتعب إذا نام على الشبع احتلم . ويمنع ذلك أيضا من التهجد ، ويحوجه إلى الفسل ، إما بالماء البارد فيتأذى به ، أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل ، فيفوته الوتر إن كان قد أخرجه إلى التهجد . ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام ، وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام ، فإن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة . وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني : الإحتلام عقوبة . وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة ، لتعذر الفسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له ، والجوع مقطعة له

الفائدة السابعة : تيسير المواظبة على العبادة . فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات ، لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل . وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ، ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ، ثم يكثر ترداده إلى بيت الماء لكثرة شربه . والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات ، لكثير ربحه . قال السري : رأيت مع على الجرجاني سويقا يستف منه ، فقلت ما حملك على هذا ؟ قال إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة ، فامضغت الخبز منذ أربعين سنة . فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضعفه في المضغ ! وكل نفس من العمر جوهر نفيسة لا قيمة لها ، فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها ، وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد . فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقتة

ومن جعلته الصوم ، فإنه يتيسر لمن تعود الجوع . فالصوم ، ودارم الاعتكاف ، ودوام  
الطهارة ، وصرف أوقات شغل بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحقها  
الغافلون ، الذين لم يعرفوا قدر الدين ، لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ( يَتَمَلَّؤْنَ  
ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ <sup>(١)</sup> )

وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست  
آفات ، فقد حلاوة المناجاة ، وتمذر حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق ، لأنه  
إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع ، وثقل العبادة ، وزيادة الشهوات ، وأن سائر المؤمنين  
يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابيل

الفائدة الثامنة . يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ، ودفع الأمراض . فإن سببها كثرة  
الأكل ، وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والمروق . ثم المرض يمنع من المبادات ،  
ويشوش القلب ، ويمنع من الذكر والفكر ، وينقص العيش ، ويحوج إلى الفصد والحجامة  
والدواء والطبيب . وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات ، لا يخلو الإنسان منها بعد التعب  
عن أنواع من المماصى وانتحام الشهوات . وفي الجوع ، ما يمنع ذلك كله

حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء ، هندي ، ورومي ، وعراقي ، وسوادي ، وقال . ليصف  
كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه . فقال الهندي : الدواء الذي لاداء فيه عندي ، هو  
الأهليج الأسود . وقال العراقي ، هو حب الرشاد الأبيض . وقال الرومي ، هو عندي الماء  
الحار . وقال السوادي ، وكان أعلمهم ، الأهليج ينفص المعدة . وهذا داء . وحب الرشاد  
يزلق المعدة ، وهذا داء . والماء الحار يرخي المعدة ، وهذا داء . قالوا فما عندك ؟ فقال الدواء  
الذي لاداء معه عندي ، أن لاتأكل الطعام حتى تشتهي ، وأنت ترفع يدك عنه وأنت  
تشتهي . فقالوا صدقت .

وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « تَمَلُّتُ  
لِلطَّعَامِ وَتَمَلُّتُ لِلشَّرَابِ وَتَمَلُّتُ لِلنَّفْسِ » فتعجب منه وقال : ما سمعت كلاماً في قلة الطعام

( ١ ) حديث ثلث للطعام : تقدم أيضاً

( ١ ) الروم : ٧ \* الأهليج ثمرته أصفر ومنه أسود وهو البالغ الضيق

أحكم من هذا ، وإنه لكلام حكيم . وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « أَلْبَطْنَةُ أَصْلُ الدَّاءِ وَالْحِلْيَةُ أَصْلُ الدَّوَاءِ وَعَوَّدُوا كُلَّ جَنِينٍ مَا عَتَادَ » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم ، من أكل خبز الحنطة محتاباً بدب ، لم يعتل إلا علة الموت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع ، وترفع قبل الشبع وقال بعض أفاضل الأطباء ، في ذم الاستكثار ، إن أنقع ما أدخل الرجل بطنه الرمان ، وأضره ، أدخل ممدته المالح ولأن يقلل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان . وفي الحديث <sup>(٢)</sup> « صُومُوا تَصِحُّوا » ففي الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام ، وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطور وغيرهما

الفائدة التاسعة : خفة المؤنة . فإن من تعود قلة الأكل كفافه من المال قدر يسير . والذي تعود الشبع صار بطنه غريباً ملازمه ، آخذاً بمنخقه في كل يوم ، فيقول ماذا تأكل اليوم ؟ فيحتاج إلى أن يدخل المداخل ، فيكتسب من الحرام فيعصى ، أو من الحلال فيذل . وربما يحتاج إلى أن يدأ عين الطمع إلى الناس ، وهو غاية الذل والقناعة . والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء ، إني لأفنى عامة حوائجي بالترك ، فيكون ذلك أروح لقلبي . وقال آخر ، إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أوزيادة ، استقرضت من نفسي ، فتركت الشهوة ، فهي خير غريم لي .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله ، يسأل أصحابه عن سعر المأكولات ، فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله ، الأكل مذموم في ثلاثة أحوال ، إن كان من أهل العبادة فيكسل . وإن كان مكتسباً فلا يسلم من الآفات . وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه

وبالجمله سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا . وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن . وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها ، وهي أبواب النار . وفي حسمها فتح أبواب الجنة ، كما قال صلى الله عليه وسلم « أَدْبَعُوا قَرَعَ بَابِ الْجَنَّةِ بِالْجُوعِ » فمن قنع برغيف في كل يوم ، قنع في سائر الشهوات أيضاً ، وصار حراً ،

( ١ ) حديث البطنة أصل الداء والحلية أصل الدواء وعودوا كل بدن بما اعتاد فلم أجده أصلاً

( ٢ ) حديث صوموا تصحوا : الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف

واستغنى عن الناس ، واستراح من التعب ، وتحلى لعبادة الله عز وجل ، وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتأنيه لأمالة

الفائدة المباشرة : أن يتمكن من الإيثار ، والتصدق بما فضل من الأطعمة على يتامى والمساكين ، فيكون يوم القيامة في ظل صدقته : <sup>(١)</sup> كما ورد به الخبر فسيأكله كان خزائنه الكنيف ، وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى . فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى ، أو أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى . فالتصدق بفضلات الطعام أولى من الترخمة والشبع

وكان الحسن رحمه الله عليه ، إذا تلا قوله تعالى ( إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا <sup>(٢)</sup> ) قال عرضها على السموات السبع الطباق ، والطرائق التي زينها بالتجويم ، وحملة العرش العظيم ، فقال لها سبحانه وتعالى ، هل تحملين الأمانة بما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت . وإن أسأت عوقبت . فقالت لا . ثم عرضها كذلك ، على الأرض ، فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصماب ، فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها ؟ قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة ، فقالت لا . ثم عرضها على الإنسان لحملها . إنه كان ظلوما لنفسه ، جهولا بأمر ربه . فقد رأيناكم والله اشتروا الأمانة بأموالهم ، فأصابوا آلافا ، فإذا صنعوا فيها ؟ وسعوا بها دورم ، وضيقوا بها قبورهم ، وأسمعنوا براذيلهم ، وأهزلوا دينهم ، واقبوا أنفسهم بالندو والرواح إلى باب السلطان ، يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبمى أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا ، يتكلىء على شماله ، ويأكل من غير ماله ، حديثه سخرة ، وماله حرام ، حتى إذا أخذته الكفظة ، ونزلت به البطنة ، قال يا غلام اتنى بشيء أهضم به طماهى . يالكع ، أطعامك تهضم ؟ إنما دينك تهضم . أين الفقير ؟ أين الأرملة ؟ أين المسكين ؟ أين اليتيم الذى أمرك الله تعالى بهم ؟

فهذه إشارة إلى هذه الفائدة ، وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخره الأجر .

( ١ ) حديث كل امرئ في ظل صدقته : ك من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم

( ٢ ) الأحزاب : ٧٢

فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه .<sup>(١)</sup> ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل سمين البطن ، فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لآخ ، أي لو قدمته لآخرتك ، وآثرت به غيرك ، وعن الحسن قال : والله لقد أدركت أقواماً كان الرجل منهم يسمى وعنده من الطعام ما يكفيه ، ولو شاء لأكله ، فيقول والله لأجمل هذا كله لبطني ، حتى أجمل بعظه لله

فهذه عشرة فوائد للجوع ، يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ، ولا تنهاى فوائدها . فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة . ولأجل هذا قال بعض السلف : الجوع مفتاح الآخرة ، وباب الزهد . والشيع مفتاح الدنيا ، وباب الرغبة . بل ذلك صريح في الأخبار التي رويناها . وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة . فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع ، كانت لك رتبة المفسدين في الإيمان ، والله أعلم بالصواب

## بيان

### طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم أن على المريد في بطنه ومأكله أربع وظائف :  
الأولى : أن لا يأكل إلا حلالاً ، وإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار . وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام . وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل ، وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة ، وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة ، وتعيين المجلس المأكل في تناول المشتبهات وتركها  
أما الوظيفة الأولى في تقليل الطعام . فسييل الرياضة فيه التدريج . فمن اعتاد الأكل الكثير . وانتقل دفعة واحدة إلى القليل ، لم يحتمله مزاجه وضعف ، وعظمت مشقته .

( ١ ) حديث نظر إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً  
ن : أحمدوك في السندوك واليه في الشعب من حديث جمعة الجشمي وأسناده جيد

فيذنبى أن يتدرج إليه قليلا قليلا . وذلك بأن ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد . فإن كان يأكل رغيفين مثلا ، وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد ، فينقص كل يوم ربع سبع رغيف . وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا : أو جزءا من ثلاثين جزءا . فيرجع إلى رغيف في شهر ، ولا يستضر به ، ولا يظهر أثره . فإن شاء فعل في ذلك بالوزن ، وإن شاء بالمشاهدة . فيترك كل يوم مقدار لقمة ، وينقصه عما أكله بالأمس .

ثم هذا فيه أربع درجات ، أفصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذى لا يبق دونه ، وهو عادة الصديقين ، وهو اختيار سهل القسرى رحمة الله عليه ، إذ قال : إن الله استعبد الخلق بثلاث ، بالحياة ، والعقل ، والقوة . فإن خاف العبد على اثنين منها ، وهي الحياة والعقل ، أكل ، وأفطر إن كان صائما ، وتكاف الطلب إن كان فقيرا . وإن لم يخف عليهما بل على القوة ، قال فيذنبى أن لا يبالى ، ولو ضعف حتى صلى قاعدا ، ورأى أن صلاته قاعدا مع ضعف الجوع ، أفضل من صلاته قائما مع كثرة الأكل .

وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به ، فقال كان قوتى في كل سنة ثلاثة دراهم . كنت آخذ بدرهم دبسا ، وبدرهم دقيق الأرز ، وبدرهم سمنا ، وأخلط الجميع ، وأسوى منه ثلثمائة وستين أكرة ، آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها . فقيل له فالساعة كيف تأكل ؟ قال بغير حد ولا توقيت . ويحكى عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية : أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مد ، وهو رغيف وشيء مما يكون الأربعة منه مثا . ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم . وهو فوق اللقيبات ، لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة . وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه ، إذ كان يأكل سبع لقم ، أو تسع لقم الدرجة الثالثة : أن يردها إلى مقدار المد ، وهو رغيفان ونصف . وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ، ويكاد ينتهى إلى ثلث البطن ، ويبقى ثلث للشراب ، ولا يبقى شيء للذكر . وفي بعض الألفاظ : ثلث الذكر بدل قوله للنفس

الدرجة الرابعة : أن يزيد على المد إلى المن . ويشبه أن يكون ما وراء المن إسرافه مخالفا



لقلوله تعالى ( وَلَا تُسْرِفُوا <sup>(١)</sup> ) أعنى في حق الأَكثَرين . فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن ، والشخص ، والعمل الذى يشتغل به

وهنا طريق خامس لا تقدير فيه ، ولكنه موضع غلط . وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ، ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بمد . ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين ، فلا يتبين له حد الجوع الصادق . ويشته عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات .

إحداها : أن لا تطالب النفس الأدم ، بل تأكل الخبز وحده بشهوة ، أى خبز كان فهما طابت نفسه خبزا بعينه ، أو طلبت أدما ، فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يبصق فلا يقع الثباب عليه . أى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلل المعدة . ومعرفة ذلك غامض . فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذى لا يضره عن العيادة التى هو بصدها . فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن ، لانه يختلف بالأحوال والأشخاص . ثم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة ، فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد . وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن . واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه . وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول : طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لأزيد عليه شيئا حتى ألقاه ، فإني سمعته يقول <sup>(٢)</sup> « أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَبُّكُمْ إِلَيَّ مَنْ مَاتَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ » وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة ، قد غيرتم ، ينخل لكم الشعير ، ولم يكن ينخل . وخبزتم المرقق ، وجمعتم بين إدامين ، واختلف عليكم بالوان الطعام ، وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر . ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> وكان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم . والمد رطل وثلاث .

( ١ ) حديث أبي ذر أفرجكم من مجلسي يوم القيامة وأحبكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم : أحمد في كتاب الزهد

ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأحبكم إلى وهو منقطع

( ٢ ) حديث كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم : ك وصححه أسناده من حديث طلحة البصري

(١) الأعراف : ٣١

ويسقط منه التوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول ، المؤمن مثل العنيزة ، يكفيه الكف من الحشف ، والقبضة من السويق ، والجرعة من الماء . والمناقي مثل السبع الضاري ، بلعا بلعا وسرطا سرطا ، لا يطوى بطنه لجاره ، ولا يؤثر أخاه بفضله . وجهوا هذه الفضول أمامكم وقال سهل : لو كانت الدنيا دما عبيطا ، لكان قوت المؤمن منها حللا . لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط

الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخيرته . وفيه أيضا أربع درجات الدرجة العليا : أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها . وفي المريدين من رد الرياضة إلى العطي لا إلى المقدار ، حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما ، وأربعين يوما . وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم ، منهم محمد بن عمرو القرني ، وعبد الرحمن بن إبراهيم ، ورحيم ، وإبراهيم التيمي ، وحجاج بن فرافصة ، وحفص العابد المصيصي ، والمسلم بن سميد ، وزهير ، وسليمان الخواص ، وسهل بن عبد الله التستري ، وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى ستة أيام . وكان عبد الله بن الزبير . يطوى سبعة أيام . وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروي أن الثوري وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا . كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء : من طوى أربعين يوما ، ظهرت له قدرة من الملوكوت . أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية .

وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة من راهب ، فذاكره بحاله ، وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من النور . فكلمه في ذلك كلاما كثيرا ، إلى أن قال له الراهب : إن المسيح كان يطوى أربعين يوما ، وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لني أو صديق . فقال له الصوفي ، فإن طويت خمسين يوما تبرك ما أنت عليه ؟ وتدخل في دين الإسلام ؟ وتعلم أنه حق وأنت على باطل ؟ قال نعم . جلس لا يبرح إلا حيث يراه ، حتى طوى خمسين يوما ، ثم قال وأزيدك أيضا . فطوى إلى تمام الستين . فتمعجب الراهب منه ، وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح . فكان ذلك سبب إسلامه

وهذه درجة عظيمة ، قل . ن بيانها إلا مكاشف محمول ، شغل بشاهدة ما قطعه عن طلبه وعادته

واستوفى نفسه في لذته ، وأنساه جوعته وحاجته

الدرجة الثانية: أن يطوى يومين إلى ثلاثة. وليس ذلك خارجا عن العادة ، بل هو قريب  
يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة

الدرجة الثالثة : وهي أدناها ، أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة . وهذا هو  
الأقل . وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع ، حتى لا يكون له حالة جوع . وذلك فعل  
الترفين ، وهو بعيد من السنة .<sup>(١)</sup> فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي  
صلى الله عليه وسلم ، كان إذا تغذى لم يتش ، وإذا تعشى لم يتغد . وكان السلف يأكلون في  
كل يوم أكلة .<sup>(٢)</sup> وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة « إِيَّاكَ وَالسَّرَفَ فَإِنَّ أَكَلَتَيْنِ  
فِي يَوْمٍ مِنَ السَّرَفِ وَأَكْلَةٌ وَاحِدَةٌ فِي كُلِّ يَوْمَيْنِ إِقْتَارٌ وَأَكْلَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ قَوَامٌ بَيْنَ  
ذَلِكَ وَهُوَ الْمُحْتَوَذُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »

ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا . قبل طلوع الفجر  
فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح ، فيحصل له جوع النهار للصيام ، وجوع الليل للقيام  
وخلو القلب ل فراغ المعدة ، ودرقة الفكر ، واجتماع الهم ، وسكون النفس إلى المعلوم ، فلا  
تنازعه قبل وقته .<sup>(٣)</sup> وفي حديث عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال ، ما قام  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيامكم هذا قط ، وإن كان ليقوم حتى تورم قدماءه . وما واصل  
وصالكم هذا قط ، غير أنه قد أضر الفطر إلى السحر . وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت  
<sup>(٤)</sup> كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل إلى السحر

فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام ، وكان ذلك يشغله عن حضور القلب

( ١ ) حديث أبي سعيد الخدري كان إذا تغذى لم يتش وإذا تعشى لم يتغد : لم أجده أسلا

( ٢ ) حديث قال لعائشة إياك والإسراف فإن أكلتين في يوم من السرف : البقي في الشعب من حديث عائشة  
وقال في اسناده ضعف

( ٣ ) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط  
وان كان ليقوم حتى تزلج قدماءه : رواه مختصرا كان يصلي حتى تزلج قدماءه واسناده جيد

( ٤ ) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر : لم أجده من فضله : وأما هو من قوله فأبكم أراد أن يواصل فليواصل  
حتى السحر رواه عن من حديث أبي سعيد وأما هو كان يواصل وهو من خصائصه

في التهجّد ، فالأولى أن يقسم طعامه نصفين . فإن كان رغيّفين مثلاً ، أكل رغيّفاً عند الفطر ورغيّفاً عند السحر ، لتسكن نفسه ، ويخفّ بدنه عند التهجّد . ولا يشتدّ بالنهار جوعه لأجل التسحر ، فيستعين بالرغيّف الأول على التهجّد ، وبالثاني على الصوم . ومن كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ، ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه .

الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام ، وترك الأدام . وأعلى الطعام مخ البر . فإن نخل فهو غاية النرفه . وأوسطه شمير منخول . وأدناه شمير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة . وأدناه الملح والنخل . وأوسطه المزورات بالأدهان من غير لحم

وعادة سائر الكي طريق الآخرة الامتناع من الأدام على الدوام ، بل الامتناع عن الشهوات فإن ككل لذيذ يشتهي الإنسان فأكله ، انتفى ذلك بطرا في نفسه ، وقسوة في قلبه ، وأنسا له لذات الدنيا ، حتى يأنفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى . وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجنًا له . وإذا منع نفسه عن شهواتها ، وضيق عليها ، وحرّمها لذاتها ، صارت الدنيا سجنًا عليه ، ومضيّقًا له ، فاشتتهت نفسه الإفلات منها ، فيكون الموت إطلاقًا وإليه الإشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال : مما شر الصديقين ، جوعوا أنفسهم لوليمة الفردوس ، فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس

فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فإنه يجري في كل الشهوات ، وتناول اللذات . فلا نطول بإعادته . فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ، ويعظم الخطر في تناولها ، حتى قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « شرارُ أُمَّتِي الَّذِينَ يَأْكُلُونَ مَخَّ الحَنْظَلَةِ » وهذا ليس بتحريم ، بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص ، ومن داوم عليه أيضا فلا يعصى بتناوله ، ولكن تتربى نفسه بالنعيم ، فتأنس بالدنيا ، وتأنف اللذات ، وتسعى في طلبها ، فيجرها ذلك إلى المعاصي . فهم شرار الأمة ، لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور ، تلك الأمور معاص .

---

(١) - حيث شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة : لم أجده أصلا

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « شَرَّارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غَدُوا بِالنَّعِيمِ وَنَبَتَتْ عَلَيْهِ أَجْسَامُهُمْ وَإِنَّمَا هَمَّتْهُمْ أَلْوَانُ الطَّعَامِ وَأَنْوَاعُ اللَّبَاسِ وَيَتَشَدُّ قُورَنُ الْكَلَامِ » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : اذكر أنك ساكن القبر ، فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيق الأطعمة ، وتمرين النفس عليها ، ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ، ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة ، حتى روي أن وهب بن منبه قال التقي ملكان في السماء الرابعة ، فقال أحدهما للآخر ، من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر إشتهاه فلان اليهودي لعنه الله . وقال الآخر ، أمرت بإهراق زيت إشتهاه فلان العابد . فهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير . ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بمسل ، وقال ، اعزلوا عني حسابها . فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات ، كما أوردناه في كتاب رياضة النفس . <sup>(٢)</sup> وقد روى نافع ، أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضاً ، فاشتبهى سمكة طرية ، فالتفت له بالمدينة فلم توجد . ثم وجدت بعد كذا وكذا ، فاشتريت له بدرهم ونصف ، فشويت وحملت إليه على رغيف ، فقام سائناً على الباب ، فقال للغلام لهما برغيفها وادفعها إليه . فقال له الغلام ، أصلحك الله ، قد اشتبهتها منذ كذا وكذا فلم نجدتها ، فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف ، فنحن نمطيه تمنها فقال لهما وادفعها إليه . ثم قال الغلام للسائل ، هل لك أن تأخذ درهما وتتركها ؟ قال نعم . فأعطاه درهما ، وأخذها وأتى بها ، فوضعا بين يديه وقال ، قد أعطيت درهما وأخذتها منه . فقال لهما وادفعها إليه ، ولا تأخذ منه الدرهم ، فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أَيُّكُمْ أَمْرِيءٌ اشْتَهَى شَهْوَةً فَرَدَّ شَهْوَتَهُ وَآثَرَهَا عَلَى نَفْسِهِ غُفِرَ اللَّهُ لَهُ »

( ١ ) حديث شرار أمة الذين غدوا بالنعيم - الحديث : ابن عدي في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلًا قال إدار قطفي في العلل أنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به

( ٢ ) حديث نافع ابن أبي عمر كان مريضاً فاشتبهى سمكة - الحديث : وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيتها امرئ اشتبهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له : أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات

وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « إِذَا سَدَدْتُ كَلْبَ الْجُوعِ بِرَغِيفٍ وَكَوْزٍ مِنَ الْمَاءِ أَفْرَاحَ قَعْلِي الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا الدَّمَارُ » أشار إلى أن المقصود رد ألم الجوع والمطش ودفع ضردهما ، دون التمتع بلذات الدنيا

وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له : إذا عدت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني . فأعلمه فدخل عليه ، فقرب عشاؤه ، فأتوه بشريد لحم ، فأكل معه عمر . ثم قرب الشواء ، وبسط يزيد يده ، وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان ، أ طعام بعد طعام ! والذي نفس عمر بيده ، إن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم . وعن يسار بن عمير قال ، ما نخلت لعمر دقبة قط إلا وأنا له عاص

وروي أن عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ، ويحففه في الشمس ، ثم يأكله ويقول : كسرة وملح ، حتى يتهيا في الآخرة الشواء والطعام الطيب . وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره ، فتقول مولاه له يا عتبة ، لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك ، وبردت لك الماء ، فيقول لها يا أم فلان ، قد شردت عني كلب الجوع

قال شقيق بن إبراهيم ، ثقيت إبراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل ، عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، يسكى وهو جالس بناحية من الطريق . فعدلت إليه ، وقعدت عنده ، وقلت إيش هذا البكاء يا أبا أسحق ؟ فقال خير . فعاودته مرة واثنتين وثلاثا ، فقال يا شقيق أستر علي فقلت يا أخى قل ماشئت . فقال لي ، اشتيت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا ، فتمتها جهدي ، حتى إذا كان الباردة ، كنت جالسا وقد غابني الناس ، إذ أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يملو منه بخار ، ورائحة سكباج . قال فاجتمعت بهمتي عنه ، فتربه . وقال يا إبراهيم كل ، فقلت ما آكل ، قد تركه الله عز وجل . فقال لي قد أطعمك الله كل . فما كان لي جواب إلا أني بكيت . فقال لي كل رحمك الله . فقلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم . فقال كل عافاك الله فإنما أعطيتك ، فقبل لي يا أخضر

( ١ ) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء أفراح قعلي الدنيا وأهله الدمار : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف

إذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم ، فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من  
منها . إعلم يا إبراهيم أني سمعت الملائكة يقولون ، من أعطى فلم يأخذ . طلب فلم يعط ، فقلت .  
إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل المقدم مع الله تعالى . ثم التفت فإذا أنا بفني آخر ،  
ناوله شيئا وقال ، يا خضر اقمه أنت . فلم يزل يلتمني حتى تمست . فانتبهت وحلاوته في فمي  
قال شقيق فقلت أرني كفك . فأخذت بكفه فقبلتها . وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات  
إذا صححوا المنع ، يا من يقدر في الضمير اليقين ، يا من يشقى قلوبهم من محبته ، أترى لشقيق  
عندك حالا ؟ ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء وقلت : بقدر هذا السكف عندك ، وبقدر  
صاحبه ، وبالجلود الذي وجد منك ، جسد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك  
وإن لم يستحق ذلك . قال فقام إبراهيم ومشى حتى أدركنا البيت

وروي عن مالك بن دينار ، أنه بقي أربعين سنة يشتهي لبنا ، فلم يأكله ، وأهدى إليه  
يوما رطب فقال لأصحابه كلوا ، فاذقته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الحواريس  
اشتهي أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح ، فبحث به إليه ، فمض منه عضة ثم طرحه ، وأقبل  
بيكي وقال ، عجبت إلى شهوتي بعد إطالة جهدي واشتقوتي . قد عزمت على التوبة فأقلني  
قال أحمد ف رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى . وقال مالك بن ضيفم ، مررت بالبصرة  
في السوق ، فنظرت إلى البقل ، فقالت لي نفسي لو أطعمتني الليلة من هذا ؟ فأقسمت أن  
لا أطعمها إياه أربعين ليلة .

ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ، ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط  
وقال يا أهل البصرة ، عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة ، فما زاد فيكم  
ما نقص مني ، ولا نقص مني ما زاد فيكم ، وقال : طلفت الدنيا منذ خمسين سنة ، اشتيت نفسي  
لبنا منذ أربعين سنة ، فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى

وقال حماد بن أبي حنيفة ، أتيت داود الطائي ، والباب مغلق عليه ، فسمته يقول ،  
نفسى اشتيت جزرا فأطعمتك جزرا . ثم اشتيت تمرا فأليت أن لا تأكله أبدا . فسلمت  
ودخلت ، فإذا هو وحده . وصر أبو حازم يوما في السوق ، فرأى الفاكهة فاشتهاها . فقال  
لابنه ، اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة ، لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لا مقطوعة

ولا ممنوعة . فلما اشتراها وأتى بها إليه ، قال لنفسه قد خدعتيني حتى نظرت واشتهيت ، وغلبتيني حتى اشتريت . والله لا ذقتيه . فبعث بها إلى يتامى من الفقراء .  
وعن موسى الأشعج أنه قال ، نفسى تشتهى ملحا جريشا منذ عشرين سنة . وعن أحمد ابن خليفة قال ، نفسى تشتهى منذ عشرين سنة ، ما طلبت منى إلا الماء حتى تروى ، فما أرويتها . وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين . فلما كان بعد ذلك قال : استحيت من نفسى أن أدافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة ، فاشتريت قطعة لحم على خبز ، وشويتها وتركته على رغيص . فلقيت صديا ، فقلت ألسنت أنت ابن فلان وقدمات أبوك ؟ قال بلى فناولته إياها . قالوا أقبل يبكى : يقرأ ( وَيُطْعِمُونَ الطَّامَءَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا <sup>(١)</sup> ) ثم لم يذقه بعد ذلك . ومكث يشتهى تمرًا سنين ، فلما كان ذات يوم اشترى تمرًا بغيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه . قال فبهت ريح شديدة ، حتى أظلمت الدنيا . ففرزع الناس . فأقبل عتبة على نفسه يقول ، هذا لجرائتى عليك وشرائى التمر بالغيراط . ثم قال لنفسه ، ما أظن أخذ الناس إلا بذئبك ، على أن لا تذوقه

واشترى داود الطائى بنصف فلس بقلا ، وبفلس خلا . وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ، ما أطول حسابك يوم القيامة . ثم لم يأكل بعده إلا قفارا . وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد إن فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسى . فقال لأنك تأكل مع خبزك تمرًا ، وهو لا يزيد على الخبز شيئًا . قال فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة ؟ قال نعم وغيرها . فأخذ يبكى . فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك ، أعلى التمر ثيكى ؟ فقال عبد الواحد دعه ، فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك ، وهو إذا ترك شيئًا لم يعاوده . وقال جعفر بن نصر ، أمرنى الجنيد أن أشتري له التين الوزيرى ، فلما اشتريته ، أخذ واحدة عند الفطور فوضمها فى فيه ، ثم ألقاها وجعل يبكى ثم قال ، أحمله فقلت له فى ذلك . فقال هتف بى هاتف أما تستحى ، تركته من أجلى ثم تعود إليه . وقال صالح المري ، قلت لمطاء السلمى ، إنى متكلف لك شيئًا ، فلا ترد على كرامتى . فقال أقبل ما تريد . قال فبعثت إليه مع ابنى شربة من سويق ، قد لسته بسمن وعسل .

(١) الدهر : ٨



فقلت لا تبرح حتى بشر بها . فلما كان من الغد ، جعل له نحوها ، فردها ولم يشربها . فعاتبته ولته على ذلك ، وقلت سبحانه الله رددت على كرامتي : فلما رأى وجدى لذلك ، قال لا يسوؤك هذا . إني قد شربتها أول مرة : وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك ، كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى ( يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَاذُ يُسِئُهُ <sup>(١)</sup> ) الآية . قال صالح ، فيكيت وقلت في نفسي ، أنا في واد وأنت في واد آخر .

وقال السري السقطي ، نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغمس جزرة في دبس ، فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء ، أعرف رجلا تقول له نفسه ، أنا أصبر لك على طي عشرة أيام ، واطمئني بعد ذلك شهوة أشتهيها ، فيقول لها ، لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروى أن عبدا دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغفانا . فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها . فقال له العابد ، مه أي شيء تصنع ؟ أما علمت أن في الرغبة الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة ؟ وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار . من السحاب الذي يحمل الماء ، والماء الذي يسقي الأرض ، والرياح ، والأرض ، والبهائم ، وبني آدم ، حتى صار إليك ، ثم أنت بعد هذا تقابه ولا ترضى به !

وفي الخبر <sup>(٢)</sup> لا يستدير الرغبة ويوضع بين يديك ، حتى يعمل فيه ثمانمائة وستون صانعا . أولهم ميكائيل عليه السلام ، الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ، ثم الملائكة التي ترجى السحاب ، والشمس والقمر ، والأفلاك ، وملائكة الهواء ودواب الأرض ، وآخرهم الحياز ( وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا <sup>(٣)</sup> )

وقال بعضهم أتيت قاسما الجرعى ، فسألته عن الزهد أي شيء هو ؟ فقال أي شيء سمعت فيه ؟ فعددت أقوالا ، فسكت . فقلت وأي شيء تقول أنت ؟ فقال اعلم أن البطن دنيا العبد . فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد . وبقدر ما يملك بطنه ، تملك الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل مرة ، فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من المأكولات . فقال تسألني فإذا عرفت لك لم تقبل مني ؟ قال صف لي حتى أسمع .

(١) حديث لا يستدير الرغبة ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثمانمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل - الحديث : لم أجده أصلا

(٢) إبراهيم : ٩٧ (٣) إبراهيم : ٣٤ والنحل ٩٣

قال تشرب سكنجيينا ، وتقص سفر جلاء ، وتأكل بعد ذلك اسفيدياجا . فقال له بشر ، هل تعلم شيئا أقل من السكنجيين يقوم مقامه ؟ قال لا . قال أنا أعرف . قال ماهو ؟ قال الهندبا بالغل . ثم قال ، أتعرف شيئا أقل من السفر جل يقوم مقامه ؟ قال لا . قال أنا أعرف . قال ماهو ؟ قال الخروب الشامي . قال فتعرف شيئا أقل من الاسفيدياج يقوم مقامه ؟ قال لا . قال أنا أعرف . ماء الحص بسمن البقر في مائه . فقال له عبد الرحمن ، أنت أعلم مني بالطب ، فلم تسألني ؟

فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ، ومن الشبع من الأقوات . وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها . وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال ، فلم يرضوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة . والشهوات ليست من الضرورات ، حتى قال أبو سليمان: الملح شهوة ، لأنه زيادة على الخبز ، وما وراء الخبز شهوة . وهذا هو النهاية . فمن لم يقدر على ذلك فيدبني أن لا يغفل عن نفسه ، ولا ينهمك في الشهوات . فكفى بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهي ، ويفعل كل ما يهواه . فيدبني أن لا يواظب على أكل اللحم . قال على كرم الله وجهه ، من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ، ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه . وقيل إن المداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر

ومهما كان جائعا ، وتاقت نفسه إلى الجوع ، فلا يلبث أن يأكل ويجماع ، فيعطى نفسه شهوتين ، فتقوي عليه . وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجوع ويستحب أن لا ينام على الشبع ، فيجمع بين غفلتين ، فيمتاد الفتور ، ويقسو قلبه لذلك ولكن يصل ، أو يجلس فيذكر الله تعالى ، فإنه أقرب إلى الشكر . وفي الحديث (١) « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوا قُلُوبَكُمْ » ، وأقل ذلك أن يصل أربع ركعات ، أو يسمي مائة تسبيحة ، أو يقرأ جزءا من القرآن عقيب أكله . فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها . وإذا شبع في يوم باصلاه بالصلاة والذكر . وكان يقول ، أشبع الزنجي وكده ، ومررة يقول ، أشبع الحمار وكده

( ١ ) حديث أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم : طس وابن السني في اليوم والآية من حديث عائشة بسند ضعيف

ومهما اشتهى شيئاً من الطعام وطيبات الفواكه ، فينبغي أن يترك الخبز ويأكلها بدلاً منه ، لتكون قوتاً ، ولا تكون تفكها ، لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ، نظر سهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وعمر ، فقال له ابدأ بالتمر ، فإن قامت كفايتك به ، وإلا أخذت من الخبز بعده بقدر حاجتك

ومهما وجد طعاماً لطيفاً وغلظاً ، فليقدم اللطيف ، فإنه لا يشتهي الغليظ بعده . ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضاً لظافته . وكان بعضهم يقول لأصحابه ، لا تأكلوا الشهوات ، فإن أكلتموها فلا تطلبوها ، فإن طلبتموها فلا تحبوها . وطلب بعض أنواع الخبز شهوة . قال عبد الله بن عمر رحمه الله عليهما ، ماتا تينا من العراق فأكهة أحب إلينا من الخبز . فرأى ذلك الخبز فأكهة

وعلى الجملة ، لا سهيل إلى إهمال النفس في الشهوات المباحات ، واتباعها بكل حال . فيقدر ما يستوفي العبد من شهوته ، يخشى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها . ويقدر ما يجاهد نفسه ، ويترك شهوته ، يتمتع في الدار الآخرة بشهواته . قال بعض أهل البصرة ، نازعتني نفسي خبز أرز وسمكا فتمتها ، فقويت مطالبتها ، واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة . فلما مات قال بعضهم رأيته في المنام ، فقلت ماذا فعل الله بك ؟ قال لأحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات . وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وسمكا وقال كل اليوم شهوتك هنياً بنير حساب . وقد قال تعالى (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ<sup>(١)</sup>) وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات . ولذلك قال أبو سليمان ، ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها . وفقنا الله لما يرضيه

## بيان

اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط . إذ خير الأمور وأوسطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم . وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يوصى إلى أن الإفراط

(١) الخاتمة : ٣٤

فيه مطلوب . وهيات ، ولكن من أسرار حكمة الشريعة ، أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى ، وكان فيه فساد ، جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه ، على وجه يوصى به عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان ، والعالم يدرك أن المقصود الوسط ، لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع ، فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع ، حتى يكون الطبع باعثا ، والشرع مانعا ، فيتقاربان ، ويحصل الاعتدال . فإن من يقدر على قمع الطبع بالسكينة بعيد ، فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية ، فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع ، كان في الشرع أيضا ما يدل على إسماعته . كما أن الشرع بالغ في الشناء على قيام الليل ، وصيام النهار ، ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ، ويقوم الليل كله نهى عنه<sup>(١)</sup>

فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل ، أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ، ولا يحس بألم الجوع . بل ينسى بطنه ، فلا يؤثر فيه الجوع أصلا . فإن مقصود الأكل بقاء الحياة ، وقوة العبادة ، وثقل المعدة يمنع من العبادة . وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها . فالمقصود أن يأكل أكلا لا يبقى للمأكل فيه أثر ، ليكون متشبهًا بالملائكة ، فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع ، وغاية الإنسان الاقتداء بهم . وإذا لم يمكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع ، فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط ، وهو الاعتدال .

ومثال طلب الآدي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة ، بالرجوع إلى الوسط ، مثال تلة أقيمت في وسط حلقة محمية على النار ، مطروحة على الأرض . فإن التلة تهرب من حرارة الحلقة . وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها ، فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط . فلو ماتت ماتت على الوسط . لأن الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة . فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالتملة ، والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ، ولا مطعم للإنسان في الخروج ، وهو يريد أن يتشبه بالملائكة

( ١ ) حدث النهى عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم

في الخلاص ، فأشبهه أحواله بهم البعد ، وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط . فصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الأحوال المتقابلة . وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا» وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا<sup>(١)</sup>)

ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع ، تيسرت له العبادة والفكر ، وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته . ولكن هذا بعد اعتدال الطبع . أما في بداية الأمر ، إذا كانت النفس جوحاً ، متشوقة إلى الشهوات ، مائلة إلى الإفراط ، فلا اعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة في إيلامها بالجوع ، كما نبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره ، إلى أن تعتدل . فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ، ترك تعذيبها وإيلامها . ولأجل هذا السر ، يأمر الشيخ مريده بما لا يتطاه هو في نفسه . فيأمره بالجوع وهو لا يجوع . ويعنه القواكه والشهوات وقد لا يتنعم هو منها . لأنه قد فرغ من تأديب نفسه ، فاستغنى عن التعذيب . ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح ، والامتناع عن العبادة ، كان الأصلح لها الجوع ، الذي تحس باله في أكثر الأحوال لتتكسر نفسه . والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل ، فترد بعد ذلك في الغذاء أيضاً إلى الاعتدال وإنما يمتنع من ملازمة الجوع من سلكى طريق الآخرة ، إمام صديق ، وإمام فرور أحمق أما الصديق ، فلا يستقامة نفسه على الزراط المستقيم ، واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق

وأما الفرور ، فلفظه بنفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه ، الظان بها خيراً ، وهذا غرور عظيم ، وهو الأغلب . فإن النفس فلما تتأدب تأدباً كاملاً ، وكثيراً ما تغتر فتنتظر إلى الصديق ومساعدته نفسه في ذلك ، فيسامح نفسه . كالمرضى ينظر إلى من قد صح من مرضه ، فيتناول ما يتناوله ، ويظن بنفسه الصحة فيهلك

والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير ، في وقت مخصوص ، ونوع مخصوص ، ليس مقصوداً في نفسه ، وإنما هو مجاهدة نفس متناثية عن الحق ، غير بالغة رتبة الكمال ،

(١) حديث خير الأمور أوسطها : البهقي في الشعب مرسل وقد تقدم

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه . قالت عائشة رضي الله عنها <sup>(١)</sup> ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم . <sup>(٢)</sup> وكان يدخل على أهله فيقول « هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ شَيْءٍ » فَإِنْ قَالُوا نَعَمْ أَكَلَ . وَإِنْ قَالُوا لَا قَالَ « إِنِّي إِذَا صَائِمٌ » <sup>(٣)</sup> ، وكان يقدم إليه الشيء فيقول « أَمَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَدْتُ الصَّوْمَ » ثُمَّ يَأْكُل . <sup>(٤)</sup> وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال « إِنِّي صَائِمٌ » فقالت له عائشة رضي الله عنها ، قد أهدى إلينا حيس ، فقال « كُنْتُ أَرَدْتُ الصَّوْمَ وَلَكِنْ قَرَّبِيهِ » . ولذلك حكى عن سهل أنه قيل له ، كيف كنت في بدايتك ؟ فأخبر بضر وبمن الرياضات منها أنه كان يقتات ورق النبق مدة . ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين . ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين . فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا ؟ فقال آكل بلا حد ولا توقيت . وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت أي آكل كثيرا ، بل أي لا أقدر بمقدار واحد ما آكله .

وقد كان معروف الكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فبأكل . فقيل له إن أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا . فقال إن أخي بشرا قبضه الورع ، وأنا بسطتني المعرفة . ثم قال ، إنما أنا ضيف في دار مولاي ، فإذا أطعني أكلت ، وإذا جوعني صبرت . مالى والاعتراض والتميز . ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال ، خذ لنا بهذه الدرام زبدا وعسلا وخبزا حواريا . فقيل يا أبا إسحق ، بهذا كله ؟ قال ويحك ، إذا وجدنا أكلنا آكل الرجال . وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال . وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ، ودعا إليه نفرا

- ( ١ ) حديث عائشة كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم : متفق عليه  
( ٢ ) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء ، فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إنى صائم : دلت وحسنه وإن من حديث عائشة وهو عند من نحوه ككسباني  
( ٣ ) حيث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إنى كنت أريد الصوم : للبيهقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعند من قد كنت أصبحت صائما  
( ٤ ) حديث خرج وقال إنى صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قرَّبِيهِ بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدبته فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ للبيهقي إنى كنت أريد الصوم واسكن قرَّبِيهِ

يسيرا ، فيهم الأوزاعي ، والثوري . فقال له الثوري : يا أبا إسحق ، أمتخاف أن يكون هذا إسرافا ، فقال ليس في الطعام إسراف ، إنما الإسراف في اللباس والأثاث

فلذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا . يرى هذا من إبراهيم بن آدم ، ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي المالح منذ عشرين سنة ، وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فافعل ، فإياه متناقضا ، فيتحير ، أو يقطع بأن أحدهما مخفي . والبصير بأسرار القول ، يعلم أن كل ذلك حق ، ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال .

ثم هذه الأحوال المختلفة ، يسميها فطن محتاط ، أو غبي مغرور . فيقول المحتاط ، ما أنا من جملة المارقين حتى أسامح نفسي . فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ، ومالك ابن دينار ، وهؤلاء من المتنبيين عن الشهوات ، فيفتدي بهم : والمغرور يقول ، ما نفسي بأعصى علي من نفس معروف الكرخي ، وإبراهيم بن آدم ، فأفتدي بهم ، وأرفع التقدير في مأكولي . فأنا أيضا ضيف في دار مولاي ، فإلى وللاعتراض . ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره ، أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة ، قامت القيامة عليه ، واشتغل بالاعتراض . وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق . بل رفع التقدير في الطعام ، والصيام ، وأكل الشهوات ، لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة . فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله واتقاضه . ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية ، حتى يكون أكله إذا أكل على نية ، كما يكون إيسا كه نبية ، فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره

فيلبني أن يعلم الحزم من صررضي الله عنه ، فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> يحب غسل ويأكله ، ثم لم يفس نفسه عليه ، بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بمسل ، جعل يدير الإناء في يده ويقول ، أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعثها ، اعزلوا عني حسابها وتركها

وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها بها مريده . بل يقتصر على مدح الجوع فقط ، ولا يدعو إلى الاعتدال ، فإنه يقصر لا محالة عما يدعو إليه . فينبني أن يدعو

(١) حديث كان يحب غسل ويأكله : متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلو والمسل . الحديث : وفيه قصة شربه المسل عند بعض سائره

إلى غاية الجوع ، حتى يتيسر له الاعتدال . ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة . فإن الشيطان يجد متعلقا من قلبه ، فيلقى إليه كل ساعة إنك عارف كامل . وما الذى فاتك من المعرفة والسكال ؟ بل كان من عادة ابراهيم الخواص ، أن يخوض مع المريدى فى كل رياضة كان يأمره بها ، كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل ، فينفره ذلك من رياضته . والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير ، لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهابهم وتلطغا فى سياقتهم إلى السعادة . وهذا ابتلاء عظيم للأتدياء والأولياء . وإذا كان حد الاعتدال خفيا فى حق كل شخص ، فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك فى كل حال . ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله ، إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن ، فعلاه بالذرة وقال ، لأم لك ، شغل يومنا خبزا ولحما ، ويومنا خبزا ولبناء ، ويومنا خبزا وسمنا ، ويومنا خبزا وزيتا ، ويومنا خبزا وملحا ، ويومنا خبزا قفارا . وهذا هو الاعتدال فأما المواظبة على اللحم والشهوات إفراط وإسراف . ومهاجرة اللحم بالكلىة إقتار . وهذا قوام بين ذلك . والله تعالى أعلم

## بيان

آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان ، هما أعظم من أكل الشهوات إحداها : أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشبهها ، ولكن لا يريد أن يُعرف بأنه يشبهها ، فيخفى الشهوة ، ويأكل فى الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة . وهذا هو الشرك الخفى — سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد ، فسكت عنه . فقيل له هل تعلم به بأسا ؟ قال يأكل فى الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة . وهذه آفة عظيمة : بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبها أن يظهرها . فإن هذا صدق الحال ، وهو يدل عن فوات المجاهدات بالأعمال . فإن إخفاء النقص ، وإظهار ضده من السكال ، هو نقصان متضاعفان . والكذب مع الإخفاء كذبان . فيكون مستحقا لمقتين ، ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك



شدد أمر المنافقين ، فقال تعالى ( إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ )<sup>(١)</sup> لأن الكافر كفر وأظهر ، وهذا كفر وستر ، فكان ستره لكفره كفراً آخر . لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه ، وعظم نظراً مخلوقين ، فحالك كفر عن ظاهره . والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ، ولا يبتلون بالرياء والنسب والإخفاء . بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ، ويظهر من نفسه الشهوة ، إسقاطاً لمنزلة من قلوب الخلق . وكان بعضهم يشتري الشهوات ويملقها في البيت ، وهو فيها من الزاهدين ، وإنما يقصده تليس حاله ، ليصرف عن نفسه قلوب المنافقين ، حتى لا يشوشون عليه حاله

فنهاية الزهد ، الزهد في الزهد بإظهار ضده . وهذا عمل الصديقين . فإنه جمع بين صدقين . كما أن الأول جمع بين كذابين . وهذا قد حمل على النفس ثقلين ، وجرعها كأس الصبر مرتين . مرة بشر به ، ومرة برمي . فلا جرم أوائك يؤتون أجراً مرتين بما صبروا . وهذا يضاهي طريق من يُعطى جهرًا فيأخذ ، ويردُّ سرًا ، ليكسر نفسه بالذل جهرًا ، وبالفقر سرًا . فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يقوته إظهار شهوته وتقصاته ، والصدق فيه : ولا ينبغي أن يفرضه قول الشيطان ، إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك ، فاستره إصلاحاً لغيرك . فإنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أم عليه من غيره . فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ، ويروجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره . فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه ، وإن علم أن من أطاع عليه ليس يقتدى به في الفعل ، أولاً ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات

الآفة الثانية : أن يقدر على ترك الشهوات ، ولكنه يفرح أن يعرف به : فيشتهر بالتمغف عن الشهوات . فقد خالف شهوة ضعيفة ، وهي شهوة الأكل . وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه . وتلك هي الشهوة الخفية . فيها أحسن بذلك من نفسه ، فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام . قلياً كل . فهو أولى له

قال أبو سليمان ، إذا قدمت إليك شهوة ، وقد كنت تاركاً لها ، فأصعب منها شيئاً يسيراً ولا تمط نفسك منها ، فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة ، وتكون قد نفست عليها إذ لم تمطها شهوتها — وقال جعفر بن محمد الصادق ، إذا قدمت إلى شهوة ، نظرت

(١) النساء : ١٤٥

إلى نفسى ، فإن هي أظهرت شهوتها ، أطعمتها منها . وكان ذلك أفضل من منعها . وإن أخفت شهوتها ، وأظهرت المزوب عنها ، عاقبتها بالترك ، ولم أئلبها منها شيئا . وهذا طريق فى عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية .

وبالجملة من ترك شهوة الطعام ، ووقع فى شهوة الرياء . كان كمن هرب من عقرب ، وفضع إلى حية . لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام . والله ولى التوفيق

## القول فى شهوة الفرج

اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين . إحداها : أن يدرك لذته ، فيقيس به لذات الآخرة ، فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد ، كما أن النار وآلاها أعظم آلام الجسد : والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم . وليس ذلك إلا بالمحسوس ، ولذة محسوسة مدركة . فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق .

الفائدة الثانية : بقاء النفس ، ودوام الوجود . فهذه فائدتها . ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ، إن لم تضبط ولم تقهر ، ولم ترد إلى حد الاعتدال . وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ( رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ <sup>(١)</sup> ) منناه شدة الغلبة . وعن ابن عباس <sup>(٢)</sup> فى قوله تعالى ( وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ <sup>(٣)</sup> ) قال هو قيام الذكر . وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قال فى تفسيره الذكر إذا دخل . وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله . <sup>(٤)</sup> وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه « أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَقَلْبِي وَهَنِي وَمَنِّي » وقال عليه السلام <sup>(٥)</sup> « الذَّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ » ولولا هذه الشهوة ، لما كان للذسَاء سلطنة على الرجال

( ١ ) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا فى قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقال الذى أسنده الذكر اذا دخل هذا حديث لا أصل له

( ٢ ) حديث الأعمى أنى أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلى ودينى تقدم فى الدعوات

( ٣ ) حديث الذسَاء حبايل الشيطان : الأصمهاى فى الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيدا الحمى بإسناد فيه جهالة

( ٤ ) البصرة : ٢٨٦ ( ٥ ) العاصى : ٣

روى أن موسى عليه السلام ، كان جالساً في بعض مجالسه ، إذ أقبل إليه إبليس عليه برنس يتلون فيه ألواناً . فلما دنا منه ، خلع البرنس فوضه ، ثم أراه ، فقال السلام عليك يا موسى . فقال له موسى من أنت ؟ فقال أنا إبليس . فقال لأحيالك الله . ما جاء بك ؟ قال جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ، ومكانتك منه . قال فما الذي رأيت عليك ؟ قال برنس أختطف به قلوب بني آدم . قال فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ؟ قال إذا أعجبت نفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنوبه . وأحذرك ثلاثاً ، لا تأخذ بامرأة لا تحل لك ، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي ، حتى أفتنه بها ، وأفتنها به . ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به . ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها . فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يعضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي ، حتى أحول بينه وبين الوفاء بها . ثم ولى وهو يقول ، يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم

وعن سعيد بن المسيب قال : ما بعث الله نبياً فيما خلا إلا لم يبأس إبليس أن يهلكه بالنساء . ولا شيء أخوف عندي منهن . وما بالمدينة بيت أدخله إلا يبتغي ويبتغي ابنتي . أغتسل فيه يوم الجمعة ، ثم أروح . وقال بعضهم ، إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي ، وأنت سهمي الذي أرى به فلا أخطيء ، وأنت موضع سري ، وأنت رسولي في حاجتي . فنصف جنده الشهوة . ونصف جنده الغضب . وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضاً لها إفراط وتفريط واعتدال . فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى الاستمتاع بالنساء والجواري ، فيحرم عن سلوك طريق الآخرة ، أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش . وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين أحدهما : أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع ، كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى المدة ، لتعظم شهوة الطعام . وما مثال ذلك إلا كمن ابتلى بسباع ضارية وحياة عادية ، فتنام عنه في بعض الأوقات ، فيحتال لإثارتها وتهيجها ، ثم يشتغل بإصلاحها وغلاجها . فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها ، فيدرك لذة بسبب الخلاص

فإن قلت: فقد روى في غريب الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> قال شكوت إلى جبرائيل ضعف الوقاع ، فأمرني بأكل الهريسة .  
 فاعلم : أنه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ، ووجب عليه تحصينهن بالإمتاع ، وحرّم على غيرهن نكاحهن وإن طلقهن . فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع .  
 والأمر الثاني : أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق ، وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع ، وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم . لأن الممتعش ليس يقنع بإرافة شهوة الوقاع ، وهي أقبح الشهوات ، وأجدرها أن يستحيا منه ، حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد . والبهيمية تقضي الشهوة أين اتفق ، فتكتفي به ، وهذا لا يكتفي إلا بشخص واحد ممين ، حتى يزداد به ذلا إلى ذل ، وعبودية إلى عبودية . وحتى يستنصر العقل لخدمة الشهوة . وقد خلق ليكون مطاعا ، لا ليكون خادما للشهوة ، ومحتالا لأجلها وما العشق إلا سمة إفراط الشهوة . وهو مرض قلب فارغ لاهمه . وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر ، وإلا فإذا استحكّم عسر دفعه . فكذلك عشق المال ، والجاه ، والمقام ، والأولاد ، حتى حب اللعيب بالطيور ، والنرد ، والشطرنج ، فإن هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ، ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يسكر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجيهها إلى باب لتدخله . وما أهون منها بصرف عنايتها . ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ، ثم يأخذ بذنبيها ويجرها إلى ورائها . وما أعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر : فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فأما في أواخرها ، فلا تقبل الملاح إلا بجهد جهيد ، يكاد يؤدي إلى نزع الروح . فإن إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد ، وهو مذموم جدا .  
 وتقرّبطها بالعنة ، أو بالضعف عن إمتاع المنكوحة ، وهو أيضا مذموم . وإنما المحمود

---

( ١ ) حديث شكوت إلى جبريل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة : العقل في الضعفاء طس من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع

أن تكون معتدلة . و طيبة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها . ومهما أفرطت ، فكسرها بالجوع والنكاح . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَعَاشِرَ الشَّبَابِ عَلَيْكُمْ يَا أَبَاءَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَطِيعْ قَعْلُهُ يَالصَّوْمُ قَالصَّوْمُ لَهُ وَجَاهٌ »

## بيانه

ما على المريد في ترك التزويج وفعله

اعلم أن المريد في ابتداء أمره ، ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج . فإن ذلك شغل شاغل ينميه من السلوك ، ويستجبره إلى الأنس بالزوجة . ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله . ولا يفرغه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، <sup>(٢)</sup> فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى ، فلا تقاس الملائكة بالحدادين . ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن إلى الدنيا ، وقال ، ما رأيت مريدا تزوج فتبت على حاله الأول ، وقيل له مرة ، ما أحوجت إلى امرأة تأنس بها ، فقال لا آتسنى الله بها ، أي أن الأنس بها يمنع الأنس بالله تعالى ، وقال أيضا ، كل ما شغلك عن الله من أهل ، ومال ، وولد ، فهو عليك مشؤم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وقد كان استغرافه بحب الله تعالى ، بحيث كان يحسد احترافه فيه إلى حسد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فيهدمه ، فلذلك <sup>(٣)</sup> كان يضرب يده على نغذ عائشة أحيانا ويقول « كَلِّمِينِي يَا عَائِشَةُ » لئلا يشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه ، لقصور طاقة قلبه عنه ، فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل ، وكان أنسه بالخلق عارضا ، رفقا بيده ، ثم أنه كان لا يطبق الصبر مع الخلق إذا جالسهم . فإذا ضاق صدره قال <sup>(٤)</sup> « أَرِحْنَاهَا يَا بِلَالُ » حتى يعود إلى ما هو قرعة عينه <sup>(٥)</sup> فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور ، لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم

( ١ ) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج - الحديث : تقدم في النكاح

( ٢ ) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما في الدنيا : تقدم

( ٣ ) حديث كان يضرب يده على نغذ عائشة أحيانا ويقول كلفيني يا عائشة : لم أجده له أسلا

( ٤ ) حديث أرحنا بها يا بلال : تقدم في الصلاة

( ٥ ) حديث أن الصلاة كانت قرعة عينه : تقدم أيضا

فشرط المريد المزية في الابتداء إلى أن يتقوى في المعرفة . هذا إذا لم تغلبه الشهوة . فإن غلبته الشهوة فليكثرها بالجرع الطويل ، والصوم الدائم . فإن لم تنمعه الشهوة بذلك ، وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلاً ، وإن قدر على حفظ الفرج ، فالتكاح له أولى ، لتسكن الشهوة . وإلا فهما لم يحفظ عينه ، لم يحفظ عليه فكره ، ويتفرق عليه همه ، وربما وقع في بلية لا يطيقها ، وزنا العين من كبار الصغائر ، وهو يؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج . ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه .

قال عيسى عليه السلام ، إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب شهوة ، وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير : إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ، ولذلك قال لابنه عليه السلام ، يا بني ، امش خلف الأسد والأسود ، ولا تش خلف المرأة . وقيل ليحيى عليه السلام ، ما بدء الزنا ؟ قال النظر والتمني . وقال الفضيل ، يقول إبليس هو توسى القسدية وسهمى الذئ لا أخطئ به . يعنى النظر

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ قَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » ، وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٢)</sup> « مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » وقال صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> « اتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ فَإِنْ أُولَ فِتْنَتَيْ إِبْرَاهِيمَ إِسْرَائِيلَ كَانَتْ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ » وقال تعالى ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَمْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ <sup>(٤)</sup> ) الآية . وقال عليه السلام <sup>(٥)</sup> « لِكُلِّ ابْنِ آدَمَ حَظٌّ مِنَ الزَّانَاةِ ائِمْنَانِ زَيْنَانٍ وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْيَدَانِ زَيْنَانٍ وَزِنَاهُمَا الْبَطْشُ وَالرَّجْلَانِ زَيْنَانٍ وَزِنَاهُمَا الْمَشْيُ وَالْقَمَمُ يَزْنِي وَزِنَاهُ الْقُبْلَةُ وَالْقَلْبُ يَهْمُ أَوْ يَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ »

( ١ ) حديث النظرة سهم مسموم من سهام إبليس - الحديث : تقدم أيضا

( ٢ ) حديث ما تركت بعدى فتنة أضرت على الرجال من النساء : من حديث أسامة بن زيد

( ٣ ) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء : من حديث أبي سعيد الخدري

( ٤ ) حديث لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان زينان - الحديث : م هو واللغة من حديث أبي هريرة

وافق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه

(١) البور : ٣٠

(١) وقالت أم سلمة : استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان . فقال عليه السلام « احْتَجِجَا » فقلنا أوليس بأعمى لا يبصرنا ؟ فقال « وَأَنْتُمَا لَا تُبْصِرَانِ » ؟ وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان ، كما جرت به العادة في الدائم والولائم ، فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء ، ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديد النظر إليه لميرحاجة . وإنما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم ، لأجل عموم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ، ولم يقدر على حفظها عن الصبيان ، فالنكاح أولى به . فإن الشر في الصبيان أكثر . فإنه لو مال قلبه إلى امرأة ، أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح . والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام . بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي ، لم يحل له النظر إليه

فإن قلت : كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ، ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول : لست أعني تفرقة العين فقط . بل يقبض أن يكون إدراك التفرقة كإدراك التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة ، وبين ماء صاف وماء كدر . وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها . فإنه يميل إلى إحداها بمينه وطبعه ، ولكن لا خاليا عن الشهوة . ولأجل ذلك لا يشتهي مسامسة الأبرار والأنوار وتقبيلها ، ولا تقبيل الماء الصافي . وكذلك الشبهة الحسنة قد تميل العين إليها ، وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ، ولكنها تفرقة لاشهوة فيها . ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملازمة فهما وجد ذلك المائل في قلبه ، وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل ، وبين النبات الحسن ، والأنوار المنقشة ، والسقوف المذهبة ، فنظروا نظر شهوة ، فهو حرام . وهذا مما يتهاون به الناس ويجرم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون

قال بعض التابعين . ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك ، من غلام أمرد يجاس إليه . وقال سفيان ، لو أن رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله ، يريد الشهوة ، لكان لواطاً . وعن بعض السلف قال : سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون

( ١ ) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجيا - الحديث :

د ن ت وقال حسن صحيح

صنف ينظرون ، وصنف يصاغرون ، وصنف يعماون  
فإذا آفة النظر إلى الأحداث عظيمة . فهما يحزن المريد عن غض بصره ، وضبط فكره  
فالعصاوب له أن يكسر شهوته بالنكاح ، قرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع  
وقال بعضهم : غلبت علي شهوتي في بدء إرادتي عالم أطق : فأكثر الضجيج إلى الله  
تعالى . فرأيت شخصا في المنام ، فقال مالك ؟ فشكوت إليه ، فقال تقدم إلى ، فتقدمت  
إليه . فوضع يده على صدري ، فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي . فأصبحت وقد  
زال ما بي . فبقيت مُعافى سنة . ثم عاودني ذلك ، فأكثر الاستغاثة ، فأناشئ شخصا في المنام  
فقال لي أنتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك ؟ قلت نعم . فقال مد رقبتك ، فدتها  
فجرد سيفاً من نور ، فضرب به عنقي ، فأصبحت وقد زال ما بي ، فبقيت مُعافى سنة . ثم  
عاودني ذلك أو أشد منه ، فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول ، ويحك  
كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه ! قال فتزوجت ، فانقطع ذلك عني ، ووُلد لي  
و، هما احتاج المريد إلى النكاح ، فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح  
ودوامه . أما في ابتدائه ، فبالنية الحسنة . وفي دوامه بحسن الخلق ، وسداد السيرة ، والقيام  
بالحقوق الواجبة ، كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح ، فلانطول بإعادته . وعلامة  
صدق إرادته ، أن ينكح فقيرة متدنية ، ولا يطلب الغنية  
قال بعضهم . من تزوج غنية كان له منها خمس خصال ، مغالة الصداق ، وتسويق  
الزفاف ، وفوت الخدمة ، وكثرة النفقة ، وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفاً على ذهاب مالها  
والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ، ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع ،  
وإلا اسحقرت ، بالسن ، والطول ، والمال ، والحسب ، وأن تكون فوقه بأربع ، بالجمال ،  
والأدب ، والورع ، والخلق . وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق  
تزوج بعض المريدين بامرأة . فلم يزل يخدمها حتى استحييت المرأة ، وشكت ذلك  
إلى أبيها ، وقالت قد تحيرت في هذا الرجل . أنا في منزله منذ سنين ، ما ذهبت إلى الخلاء  
قط ، إلا وحمل الماء قبلي إليه  
وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال . فلما قرب زفافها ، أصابها الجدري . فاشتد حزن



أهلها لذلك ، خوفاً من أن يستعجبها . فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ، ثم أراهم أن بصره قد ذهب ، حتى زفت إليه ، فزال عنهم الحزن . فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت . ففتح عينيه حين ذلك . فقبل له في ذلك ، فقال تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا . فقبل له قد سبقت إخوانك بهذا الخلق

وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق . فكان يصبر عليها . فقبل له لم لا تطلقها ؟ فقال أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها ، فيتأذى بها . فإن تزوج المرید فكذا ينبغي أن يكون . وإن قدر على الترك فهو أولى له ، إذ لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسوءك الطريق ، وعلم أن ذلك يشغله عن حاله

كما روى أن محمد بن سليمان الهشبي ، كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم . فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها . فأجمعوا كلهم على رابعة المدوية رحمها الله تعالى . فكتب إليها ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد . فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم ، وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها . فأجيبني . فكتبت إليه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن . فإذا أنك كذا في هذا ، فهي زائدك ، وقدم لمعادك ، وكن وصي نفسك ، ولا تجعل الرجال أوصياءك ، فيقتسموا ثرائك . فعصم الدهر ، وليكن فطرك الموت . وأما أنا ، فلو أن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضعافه ، ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان

فلي نظر المرید إلى حاله وقلبه . فإن وجدته في المزوبة ، فهو الأقرب . وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به . ودواء هذه العلة ثلاثة أمور ، الجوع ، وغض البصر ، والاشتغال بشغل يستولي على القلب . فإن لم تنفع هذه الثلاثة ، فالنكاح هو الذي يستأصل ما دلتها فقط . ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح ، وإلى تزويج البنات . قال سعيد بن المسيب ، ما ليس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء ، وقال سعيد أيضاً ، وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه . وهو يمشو بالأخرى ، ما شئ أخوف عندي من النساء

وعن عبد الله بن أبي وداعة ، قال كنت أجالس سميد بن المسيب ، فتفقدني أياما ، فلما أتيت ، قال ، أين كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتقت لها . فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم ، فقال هل استحدثت امرأة ؟ فقلت يرحمك الله تعالى ، ومن زوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال أنا ، فقلت وتعمل ؟ قال نعم . فحمد الله تعالى ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة . قال فقمت وما أدري ما أصنع من القرح . فصرت إلى منزلي ، وجعلت أفكر بمن آخذ ، ومن أستدين ، فصليت المغرب ، وانصرفت إلى منزلي ، فأسرجت ، وكنت صائما ، فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزا وزيتا ، وإذا بآبي يقرع . فقلت . من هذا ؟ قال سميد . قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سميد ، إلا سميد بن المسيب . وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه ، فإذا به سميد بن المسيب . فظننت أنه قد بدله . فقلت . يا أبا محمد ، لو أرسلت إلي لأتيتك . فقال . لا ، أنت أحق أن تؤتى . قلت فما تأمر ؟ قال إنك كنت رجلا عزيزا فتزوجت ، فكرهت أن أيتك الليلة وحدك ، وهذه امرأتك . وإذا هي قائمة خلفه في طوله . ثم أخذ يدها ، فدفعها في الباب ورده . فسقطت المرأة من الحياء . فاستوثقت من الباب ، ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت ، فوضعتها في ظل المراج لكيلا تراه . ثم صعدت السطح ، فرميت الجيران : فجأوني . وقالوا ما شأنك ؟ قلت ويحكم ! زوجني سميد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها الليلة على غفلة . فقالوا أو سميد زوجك ؟ قلت نعم . قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم . فنزلوا إليها . وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت ، وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام . قال فأقمت ثلاثا ؟ ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجل الفساء . وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بحق الزوج . قال فمكثت شهرا لا يأتيني سميد ولا آتيه . فلما كان بعد الشهر أتيت به وهو في حلقة ، فسلمت عليه ، فبرد على السلام ، ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس . فقال : ما حال ذلك الإنسان . فقلت : بخير يا أبا محمد ، على ما يحب الصديق ويكره العدو ، وقال إن رايك منه أمر قدونك والمصا ، فانصرفت إلى منزلي فوجه إلى بعشرين ألف درهم

قال عبد الله بن سليمان ، وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك ابن مروان ، لابنه الوليد ، حين ولاء العهد . فأبى سعيد أن يزوجه . فلم يزل عبد الملك يحثه على سعيد ، حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد ، وصب عليه جرة ماء ، وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة ، بعرفك غائلة الشهوة ، ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح ، رضى الله تعالى عنه ورحمه

## بيان

فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم أن هذه الشهوة هي أغاب الشهوات على الإنسان ، وأعصاها عند الهيجان على العقل ، إلا أن مقتضاها قبيح يستجيا منه ، ويخشى من اقتحامه . ولهتئنا أكثر الناس عن مقتضاها إما لمجز ، أو لخوف ، أو لحياء ، أو لحافظة على جسمه : وليس في شيء من ذلك ثواب ، فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر . نعم من العصمة أن لا يقدر ، ففي هذه المواقف فائدة ، وهي دفع الإثم ، فإن من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأي سبب كان تركه . وإنما الفضل والثواب الجزيل ، في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب ، لاسيما عند صدق الشهوة . وهذه درجة السديقين . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « مَنْ عَشِقَ قَعَفَ فَكُنْتُمْ قَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup> « سَبْعَةٌ يُظَاهِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » وعد منهم رجل دعتهم امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها : فقال إني أخاف الله رب العالمين .

وقصة يوسف عليه السلام . رآه متناعاً من زليخا ، مع القدرة ، ومع رغبتها ، عروفة . وقد أنبى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز ، وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة

( ١ ) حديث من عشق قعف فكتم قمات فهو شهيد . في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد

ابن سعيد ثم قال يقال إن يعجب المذكر له هذا الحديث قل لو كان لي من ورمح غزوت سويدا رواه الحرائطى من غير طريق ، سويد يحد فيه نظر

( ٢ ) حديث سبعة يظاهمهم الله في ظلّه - الحديث : معنى عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم

وروى أن سليمان بن يسار، كان من أحسن الناس وجهاً . فدخلت عليه امرأة ، فسألته نفسه ، فامتنع عليها ، وخرج هارباً من منزله وتركها فيه ، قال سليمان ، فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام ، وكأني أقول له أنت يوسف ؟ قال نعم ، أنا يوسف الذي هممت ، وأنت سليمان الذي لم تهتم . أشار إلى قوله تعالى (وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ<sup>(١)</sup>) وعند أيضاً ما هو أعجب من هذا ، وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ، ومعه رفيق له ، حتى نزلا بالإيواء ، فقام رفيقه وأخذ السفارة ، وانطلق إلى السوق ليبْتَاع شيئاً . وجلس سليمان في الخيمة ، وكان من أجل الناس وجهاً ، وأورعهم . فبصرت به أعرابية من قلة الجبل ، وانحدرت إليه ، حتى وقفت بين يديه ، وعليها البرقع والقفازان . فأسفرت عن وجه لها كأنه فلاة قر . وقالت أهثني . فظن أنها تريد طعاماً . فقالت لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله . فقال جهزك إلى إبليس . ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النحيب . فلم يزل يبكي . فلما رأته منه ذلك ، سدت البرقع على وجهها . وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها . وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء . وانقطع حلقه . فقال ما يبكيك ؟ قال خير ، ذكرت صبيتي قال لا والله ، إلا أن لك قصة . إنما عليك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها . فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية - فوضع رفيقه السفارة ، وجعل يبكي بكاء شديداً . فقال سليمان ، وأنت ما يبكيك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك ، لأنني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها ، فلم يزل يبكيان ، فلما انتهى سليمان إلى مكة ، فسمي وطاف ثم أتى الحجر . فاحتج بشو به ، فأخذته عينه فنام ، وإذا رجل وسيم طوال له إشارة حسنة ، ورائحة طيبة ، فقال له سليمان رحمك الله ، من أنت ؟ قال له أنا يوسف الصديق ؟ قال نعم ، قل إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لمعجبا ، فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الإيواء أعجب وروى عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> يقول « أَنْطَلِقَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوا فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمُ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم البيت الى غار فذكر الحديث بطوله : رواه

(١) يوسف : ٢٤

تَدْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْنِي قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا فَتَأَيَّيْتُ بِطَلَبِ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرِخْ عَلَيْهِمَا حَتَّى تَأَمَّا فَخَلَبْتُ لَهُمَا عُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَغْنِي قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا قَلْبِي وَأَلْقَيْتُ فِي يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتَيْقَظَا لَهَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ حَوْلَ قَدَمِي فَاسْتَيْقَظَا فَخَرِبَا عُبُوقَهُمَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَفَلْتُ ذَلِكَ أُبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرَّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَإِنَّفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ فَرَاوَدَتْهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَتَيْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ لَجَاءَنِي فَأَعْطَيْتُهَا مِائَةً وَعِشْرِينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَقَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَالِمْ إِلَّا بِحَقِّهِ . فَتَخَرَّجْتُ مِنَ الْوُفُوجِ عَلَيْهَا فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ اللَّذَّيْنِ الَّذِي أُعْطَيْتُهَا . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَفَلْتُ أُبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرَّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَإِنَّفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا وَقَالَ الثَّلَاثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَأْجِرُ أَجْرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجُورَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَإِنَّهُ تَرَكَ الْأَجْرَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَنَمَيْتُ لَهُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي أَجْرِي فَقُلْتُ سَكُلْ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالنَّعَمِ وَالرَّفِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَهْرَأُ بِي ؟ فَقُلْتُ لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَخَذَهُ فَاسْتَأْجَرَهُ وَأَخَذَهُ كُلَّهُ وَلَمْ يَبْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ كَفَلْتُ ذَلِكَ أُبْتِغَاءَ وَجْهِكَ . فَفَرَّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَإِنَّفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ »

فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوات فمف . وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين . فإن العين مبدأ الزنا . لحفظها مهم : وهو عسر ، من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه . والآفات كلها منه تنشأ . والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمماودة يؤاخذ بها . قال صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> « لَكَ الْأَوَّلَى وَعَلَيْكَ الثَّانِيَةُ » أى النظرة .

(١) حديث لك الأولى وليست لك الثانية : أى النظرة دت من حديث بريدة عاله لعل قال ت حديث غريب

وقال العلاء بن زياد : لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة  
وقلما يخلو الإنسان في رداءه عن وقوع البصر على النساء والصبيان . فهما تخايل إليه  
الحسن تقاضى الطبع المعاودة . وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذا المعادة عين الجهل  
فإنه إن حقق النظر فاستحسن ، ثارت الشهوة ، وعجز عن الوصول ، فلا يحصل له إلا التبحر  
وإن استقبح ، لم يلتذ وتألم لأنه قصد اللذائذ ، فقد فعل ما آله . فلا يخلو في كلتا حالتيه عن  
معصية ، وعن تألم ، وعن تحسر . ومهما حفظ العين بهذا الطريق ، اندفع عن قلبه كثير من  
الآفات . فإن أخطأت عينه ، وحفظ الفرج مع التمكن ، فذلك يستدعي غاية القوة ، ونهاية التوفيق  
فقد روى عن أبي بكر بن عبد الله المزني ، أن نصابا أولم بحارية لبعض جيرانه ،  
فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى . فتبعها ، وراودها عن نفسها ، فقالت له : لا تفعل  
لأننا أشد حبا لك منك لي ، ولكني أخاف الله . قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه ! فرجع  
تائبا . فأصابه العطش حتى كاد يهلك . فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل ، فسأله ،  
فقال مالك ؟ قال العطش . قال تعال حتى ندعو الله بأن تظننا سحابة حتى ندخل القرية .  
قال مالي من عمل صالح فأدعو . فادع أنت . قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي . فدعا  
الرسول ، وأمن هو ، فأظلتما سحابة حتى انتهيا إلى القرية . فأخذ القصاب إلى مكانه ،  
فالت سحابة معه . فقال له الرسول ، زعمت أن ليس لك عمل صالح . وأنا الذي دعوت  
وأنت الذي أمنت ، فأظلتنا سحابة ، ثم تبعتك . لتخبرني بأمرك . فأخبره . فقال الرسول  
إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه .

وعن أحمد بن سعيد العابد ، عن أبيه ، قال . كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ، لازم  
المسجد الجامع ، لا يكاد يفارقه . وكان حسن الوجه ، حسن القامة ، حسن السميت . فنظرت  
إليه امرأة ذات جمال وعقل ، فشغفت به ، وطال عليها ذلك . فلما كان ذات يوم ، وقفت  
له على الطريق ، وهو يريد المسجد . فقالت له يا فتى ، اسمع مني كلمات أكلتك بها ، ثم اعمل  
ما شئت . ففنى ولم يكلمها . ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه ، وهو يريد منزله . فقالت له  
يا فتى ، اسمع مني كلمات أكلتك بها . فأطرق مليا وقال لها ، هذا موقف تهمة ، وأنا أكره

أن أكون للتهمة موضعاً. فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ، ولكن مماذا الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني . والذي حماني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسى ، لم أرقى أن القليل من هذا عند الناس كثير ، وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يعجبها . وجملة ما أقول لك : أن جوارحى كلها مشغولة بك . فאלله الله فى أمرى وأمرى . قال فضى الشاب إلى منزله ، وأراد أن يصلى ، فلم يعقل كيف يصلى . فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ، ثم خرج من منزله : وإذا بالمرأة واقفة فى موضعها . فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله ، وكان فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، إعلمى أيتها المرأة . أن الله عز وجل إذا عساه العبد حلم ، فإذا عاد إلى المصيبة مرة أخرى ستره ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه ، غصبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب . فمذا يطيق غضبه ؟ فإن كان ما ذكرت باطلاً ، فإنى أذكرك يوماً تكون السماء فيه كاللؤلؤ ، وتصير الجبال كاللؤلؤ ، وتجوو الأمم لصولة الجبار العظيم . وإنى والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيرى . وإن كان ما ذكرت حقاً ، فإنى أدلك على طبيب هدى ، يداوى الكوم الممرضة ، والأوجاع الممرضة . ذلك الله رب العالمين . فاقصديه بصدق المسألة ، فإنى مشغول عنك بقوله تعالى ( وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْخَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَآلِظًا لِّبَنٍ مِنْ حَجِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ <sup>(١)</sup> ) فإن المهرب من هذه الآية ، ثم جاءت بعد ذلك بأيام ، فوقفت له على الطريق ، فلما رآها من بعيد ، أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها . فقالت يافى لا ترجع ، فلا كان الملقى بعد هذا اليوم أبداً إلا غداً بين يدي الله تعالى . ثم بككت بكاء شديداً ، وقالت أسأل الله الذى يده مفاتيح قلبك ، أن يسهل ما قد عسر من أمرى . ثم إنها تبتمته ، وقالت أبن على بموعظة أحبابك عنك ، وأوصنى بوصية أحمل عليها . فقال لها أوصيك بحفظ نفسك ، من نفسك ، وأذكرك قواه تعالى ( وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَّ حَتْمٌ يَوْمَئِذٍ ) قال فأطارت وبككت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ، ثم أنها أفاتت ، ولزت ينها ، وأخذت

(١) غافر : ١٦ (٢) الاسام : ٥٩

في العبادة ، فلم تزل على ذلك حتى ماتت كيدا . فكان القتي يذكرها بدموعها ثم يبكي .  
فيقال لسم بسكاؤك وأنت قد أياستها من نفسك ؟ فيقول ، إني قد ذبحت طمعها في أول  
أمرها ، وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى ، فأنا أستحي منه أن أسترد  
ذخيرة ادخرتها عنده تعالى .



## الفهرس القسم الأول

الصفحة

تقديم ..... 5

### الباب الأول

في الترغيب في النكاح والترهيب عنه ..... 6  
الترغيب في النكاح ..... 6  
الترهيب عن النكاح ..... 10  
فوائد النكاح ..... 11  
آفات النكاح ..... 26

### الباب الثاني

فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد ..... 31  
العقد ..... 31

### الباب الثالث

في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح ..... 42

### القسم الثاني

من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها ..... 69

## القسم الثالث

77	كسر الشهوتين
78	بيان فضيلة الجوع ودم الشبع
85	بيان فوائد الجوع وآفات الشبع
93	بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن
105	بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه
110	بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقبّل الطعام
112	القول في شهوة الفرج
115	بيان ما على المرید في ترك التزويج وفعله
121	بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين



## كتب دينية

صدرت عن دار المعارف للطباعة والنشر :

كتاب علوم الحديث	المعروف بمقدمة ابن الصلاح
لباب الفرائض	للشيخ محمد الصادق الشطي
الاسراء والمعراج	للامام ابن عباس
المنتقى من الضلال	للامام الغزالي
كيمياء السعادة	للامام الغزالي
أصول الفقه	للشيخ محمد الحصري
سبيل السعادة	لمحمد بن محمد بن عبد الله
مؤظة المؤمنين من أحوال علوم الدين / للشيخ محمد جمال الدين القاسمي	
قصص الأنبياء المسمى غرائب المجالس / للنيسابوري	
الرجة في الطب والحكمة	للسيوطي
ارشاد السالك	لشهاب الدين البغدادي
الطب النبوي	لحافظ أبي عبد الله
الشفاء بتبريد حقوق المصطفى	لأبي الفضل عباس
الأساليب البديعة في فضل الصحابة للشيخ النعمان	
جواهر البحاري وشرح القسطلاني	للشيخ أحمد القسطلاني
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للامام القزويني	
غزوات الرسول	ليوسف بن اسماعيل البهالي
الفتاوي في التحديد والاصلاح الديني	للاستاذ الامام محمد عبده
آداب النكاح وكسر الشبهات	للامام الغزالي
القربة الاسلامية بين الاصلية والمعاصرة	للدكتور اسحق احمد لرحان
الفقه الواضح	لمحمد الطاهر رويس

## تحت الطبع :

الحلال والحرام	للامام الغزالي
جواهر القرآن	للامام الغزالي
رسالة التوحيد	للشيخ محمد عبده
التيبان في آداب حملة القرآن	لأبي زكريا يحيى النووي
أوضح المسالك الى آفة ابن مالك / لأبي محمد ابن عبد الله جمال الدين الأصباهي	

تم سحب خمسة آلاف نسخة من هذا الكتاب .

الضمن : 2.500 د.ت . أو ما يعادلها بالعملة الأخرى .

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)